بسم الله الرحمن الرحيم

مصطلح أهل السنة والجماعة

في الميزان

ثائر أحمد سلامة – أبو مالك

الطبعة الأولى:

1438 هـ 2017 م

راجعه وخرج أحاديثه، وأضاف عليه إضافات جمة بالغة الفائدة: الأستاذ زياد أحمد سلامة،

والأستاذ يوسف الساريسي،

والأستاذ: أحمد القصص،

والأستاذ: إسماعيل الوحواح

والشكر موصول للأستاذ إبراهيم النبهاني الذي اطلع على الكتاب وأبدى الرأي فيه

قال رسول الله ﷺ: "من دعا بدعوة الجاهلية فهو جُثاء جهنم، وإنْ صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعو بدعوة الله التي سماكم بها: المسلمينَ عبادَ الله"[1]

"جاء رجل إلى الإمام مالك، فقال: يا أبا عبد الله؛ أسألك عن مسألة أجعلك حجة بيني وبين الله عزوجل.

فقال له الإمام مالك: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، سلْ.

فقال الرجل: مَنْ أهل السنة؟

فقال الإمام: أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به"[2]

---

[1] مسند أحمد 17344 ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب الإمارة، حديث رقم 3694، ومعنى (جُثاء: جمع جُثوة: هو ممن يجثون على الركب في جهنم، أو أنه من جماعات أهل جهنم: لسان العرب 132/14)

[2] وهناك من يكمل قول الإمام مالك بـ" لا جهمي ولا قدري ولا رافضي" أنظر: موقع أهل الحديث؛ مقال بعنوان " من هم أهل السنة والجماعة" بقلم الشيخ أبي عبد الرحمن محمد بن خدة الجزائري، نقلاً عن "الإنتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء"، لابن عبد البر، ص 72".

الدافع للكتابة في هذا الموضوع

عُقد في عاصمة الشيشان «غروزني» يوم 2016/8/25 مؤتمرٌ بعنوان «مؤتمر أهل السنة والجماعة»، لوضع تعريف من «هم أهل السنة والجماعة» أو لـ«تصويب الانحراف الحاد والخطر» في هذا التعريف، كما قال القائمون على المؤتمر.

حصر المؤتمر أهل السنة والجماعة في «الأشاعرة والماتريدية في الإعتقاد، وأهل المذاهب الأربعة في الفقه، وأهل التصوف الصافي علماً وأخلاقًا وتزكيةً»، ليعني ذلك إخراج كل من خالفهم من دائرة السنة والجماعة، وهو الهدف الذي أقيم من أجله المؤتمر، برعاية الرئيس الشيشاني "رمضان قاديروف" وحضره لفيف من علماء الدين، ومن أبرزهم الوفد المصري الذي ترأسه شيخ الأزهر أحمد الطيب والشيخ علي جمعة، وشيخ الطرق الصوفية وعضو البرلمان المصري عبد الهادي القصبي، والشيخ أسامة الأزهري مستشار الرئيس المصري السيسي ووكيل اللجنة الدينية بالبرلمان، وقد استثنى القائمون على المؤتمر دعوة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وهيئة كبار العلماء في السعودية ومنظمة التعاون الإسلامي وغيرها من المؤسسات الدينية، بالرغم من أنه زعم تحديد هوية "أهل السنة والجماعة".[3]

عقد المؤتمر في رحاب روسيا الاتحادية، التي تعيث في الأرض فسادًا، وتقتل المسلمين في سوريا، روسيا التي مردت على قتل المسلمين سُنَّة وغير سُنَّة عبر تاريخها الدموي،[4] في ظل الهجمة الشرسة الدموية على الإسلام، ووصمه بالإرهاب، وليس غريباً أن يدعو الرئيس الشيشاني بعض العلماء القريبين من سلطة بلادهم مثل "الشيخ" (أحمد بدر الدين حسون) مفتي نظام بشار الأسد وغيره، ولكن الغريب أن بوتين - وهو الذي يقف وراء المؤتمر - لا يقرأ الأحداث قراءة صحيحة، فما يُسمى بالإسلام المعتدل، أو المدني، المطعَّم بالواقعية، المغلَّف بالليبرالية؛ استهلكته أمريكا وحاولت على مدار عقود أن تجعل منه البديل للإسلام الذي وصفته بالراديكالي الأصولي، ولم تنجح، ثم لم تعد تتكلم عنه كثيراً اليوم، وكانت أمريكا قد وضعت مواصفات للمسلم المعتدل كما جاء في دراسة وتوصيات لمركز راند المدعوم من وزارة الخارجية الأمريكية في 2007 حيث استغرقت تلك الدراسة ثلاث سنوات تحت اسم "بناء شبكات مسلمة معتدلة

---

[3] ياسين السليمان، مؤتمر الشيشان يثير غضب المسلمين، الخليج اون لاين، 2016/9/2

[4] تتارستان، وسر العداء الروسي المتجدد

BuildingModerate Muslim Networks[5] " فالمسلم المعتدل . حسب الوصفة الأمريكية .هو الذي:

1 - يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

2 - يؤمن بحرية المرأة في اختيار "الرفيق"، وليس الزوج.

3 - يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.

4 - يدعم التيارات الليبرالية.

5 - يؤمن بتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: "التيار الديني التقليدي" أي تيار رجل الشارع الذي يصلي بصورة عادية وليست له اهتمامات أخرى، و"التيار الديني الصوفي" - يصفونه بالتيار الذي يقبل الصلاة في القبور (!) - وبشرط أن يعارض كل منها ما يطرحه "التيار الوهابي".[6]

وقد "عبّر عدد من علماء الأمة الإسلامية عن استيائهم من التوصيات التي خرج بها المؤتمرون، عادِّين إياه بداية انقسام للأمة واتهموا جهات تتخذ من الدين ستاراً لها لتمزيق صف العالم الإسلامي وفتح نوافذ للفتنة بين مذاهب أهل السنة والجماعة، في حين تمر الأمة الإسلامية بمخاض عسير وهي أحوج ما تكون إلى من يلمُّ شتاتها، لا تفريقها إلى مذاهب."[7]

يأتي هذا المؤتمر ليستمر في الحملة ذاتها، واضعاً "مواصفات" معينة لـ "أهل السنة والجماعة"، وما عداها فأصولي وإرهابي! من هنا، ففهم سياق المؤتمر مهم، واستعماله لمصطلح أهل السنة دَفَعَ للقيام بهذه الدراسة لتوضيح أن أمريكا حاولت تفريغ الإسلام من مضامينه واحتوائه تحت ثوب العلمانية والليبرالية، والقبول بحقوق الشواذ، ورفض تطبيق الشريعة، بينما هذا المؤتمر يريد قصر السنة على التصوف ومسائل اعتقاد عفا عليها الزمن، يريدون بتر الإسلام عن الواقع، فلا يضع حلولاً مستنبطة من الكتاب والسنة لمشاكل المسلمين، ويريدون قوقعته بين جدران التصوف، ويريدون للمسلمين أن لا يفكروا حتى في تطبيقه في حياتهم نظام حياة.

ثم عُقد يوم السبت 2016/11/12 مؤتمر لاحق في الكويت رداً على مؤتمر "غروزني" حول أهل السنة والجماعة حمل عنوان "المفهوم الصحيح لأهل السنة والجماعة وأثره في الوقاية من الغلو

---

http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monographs/2007/RAND_MG574.pdf[5]

[6] تقرير " RAND 2007 " خطير جدا .. تفاصيل خطيرة عنه يجب معرفتها! عَبْدالله بن محمد زُقَيْل، والتيار الوهابي تعبير يُطلق [في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق] على كل مسلم (لا سيما إذا كان من الملتزمين بوجهة نظر الإسلام خاصة).

[كتب سيد قطب رحمه الله تعالى مقالاً عام 1952 بعنوان "إسلام أمريكاني" قال فيه: " والإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط، ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية! إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم، لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرى، وسيعلّم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء. فكلاهما عدو، وكلاهما، اعتداء"....سيد قطب/ يونيه 1952 م من كتاب "دراسات إسلامية ص 119].

[7] ياسين السليمان، مؤتمر الشيشان يثير غضب المسلمين، الخليج اون لاين، 2016/9/2

والتطرف" وترأسه مفتي موريتانيا، الشيخ أحمد بن المرابط،[8] وفيه "أكد علماء من 25 دولة قائمة في العالم الإسلامي على وحدة أهل السنة والجماعة، ورفضوا ما ورد في مؤتمر غروزني قبل حوالي شهرين من تصنيف بعض المكونات كالسلفية والوهابية خارجة عن وصف أهل السنة".

في البيان الختامي للمؤتمر عَرَّف العلماء المشاركون أهلَ السنة بأنهم "هم المتّبعون للكتاب والسنة، وأن رؤوسهم هم الصحابة ثم التابعون، ثم تابعو التابعين، ومن جاء بعدهم وسار على منهجهم". وأكدوا أن منهج أهل السنة والجماعة واحد لا تعدّد فيه، وأنه حقٌّ لا يشوبه باطل، ووسط لا غلو فيه ولا جفاء. كما قالوا إن الخلاف في المسائل الاجتهادية بين علماء المذاهب الأربعة لا يوجب الخروج عن السنة، ولا يسوغ الافتراق أو تسمية المختلفين طوائف وفرقاً، أو وصفهم بالإبتداع. وجاء أيضاً في البيان الختامي - الذي قرأه عبد العزيز بن محمد السعيد الأستاذ بجامعة محمد بن سعود الإسلامية- أن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب عتيق، لم تكن نشأته على يد الإمام أحمد (بن حنبل) ولا العلامة ابن تيمية ولا محمد بن عبد الوهاب، بل هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم."[9]

إن عنوان "أهل السنة والجماعة" أصلاً هو عنوان تاريخي نشأ كردة فعل لأحداث تاريخية محددة (حركات الخوارج، وظهور الاعتزال والحديث في القدر...الخ) استدعت ظهور مناهج محددة في الفكر والنظر، تبلورت في النهاية تحت عناوين متعددة (شيعة، وجهمية، ومرجئة، ومعتزلة، وأشاعرة، وأهل حديث...). فهل نحن اليوم نعاصر نفس السياق في الفعل وردة الفعل؟ هل دعاة المعتزلة يقفون على باب المساجد يمتحنون المسلمين في مسألة خلق القرآن والمنزلة بين المنزلتين؟! أم أن قضية تفويض معاني وكيفيات الصفات تتصدر نشرات أخبار فضائيات الجزيرة والعربية؟!

إن الواقع المرير الذي تعيشه الأمة يقتضي التسامي إلى بعد آخر في التفكير، ويقتضي الخروج من إطار تحديات مرت في فترة من التاريخ ومشاكل مغايرة لمشاكل العصر اليوم، فالتحديات والقضايا والعداوات اختلفت، اليوم زال نظام الإسلام من التطبيق ولم تعد للمسلمين دولة! اليوم تفرقت الأمة أيادي سبأ، واستبيحت البلاد وصارت نهباً لكل طامع، وانتقصت أرضنا من أطرافها، بل من قلبها؛ يهود يحتلون الأرض المباركة، وكشمير يحتلها الهندوس، والقوقاز يحتله الروس، وأمريكا تبتلع العراق وأفغانستان، وجنوبُ السودان اقتُطع كما اقتطعت قبرص وتيمور الشرقية من قبل، اليوم تسلط على الأمة حكامٌ يحكمون بغير ما أنزل الله في شتى مناحي الحياة، اليوم انتشرت أفكار الديمقراطية والليبرالية والقومية والوطنية والرأسمالية.[10]..

ثم إننا نعلم أن علماء التيار السلفي درجوا على وصف أنفسهم بأهل السنة والجماعة، واعتبر كثير منهم غير السلفية أحياناً فرقاً ضالة وأحياناً وصفوها بأهل القبلة، مقابل وصف أنفسهم

---

[8] موقع العربي .C.N.N مؤتمر بالكويت ردا على غروزني: السلف هم السنّة.. ولا للثورات 2016/11/13

[9] موقع الجزيرة نت.

[10] مؤتمر لتعريف السنّة بالشيشان بحضور شيخ الأزهر يستثني السلفيين ويثير الغضب بالسعودية؛ أسامة الثويني.

بالفرقة الناجية، وبأهل السنة والجماعة، قال سفر الحوالي: "بل يمكن القول: إن الآلاف من الآثار ممن يستخدم مثل هذه الكلمة: كلمة أهل السنة، فنترك كل هذه النقول من أجل هؤلاء المبتدعة، من أهل الكلام سواء كانوا صوفية أم معتزلة أم أشعرية، أو أشباههم يقولون: نحن من أهل السنة، نترك الكلمة الشرعية، من أجل إدعاء المدعين. فنقول: لا، السنة لستم من أهلها، فأنتم عقيدتكم كذا، وأهل السنة عقيدتهم كذا، كما ظهر قبل فترة من يقول إن الأشاعرة هم أهل السنة، والحمد لله تصدى لهم مَنْ بَيَّنَ أن أصول الأشعرية كذا وكذا...، أما أصول أهل السنة والجماعة فهي بخلاف ذلك، فتبين أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة، بل هم من أهل **البدعة والضلالة**".[11] [12]

وهكذا زاد أولئك المجتمعون في غروزني الطين بلة، ومن ثم سرت الفُرقة في خير أمة أخرجت للناس، فتفرقت كلمتها، وعمل عدوها على إذكاء هذا **الصراع الذي سموه بالطائفي**، مستغلين فهم الناس أن السنة طائفة، وأن الشيعة طائفة، والزيدية طائفة، وهكذا، حتى وصل الحد بأن تجد محطات تلفزة مخصصة للهجوم على الشيعة، وأخرى مخصصة للهجوم على الوهابية،

---

[11] الفرق بين السلف وأهل السنة والجماعة لسفر الحوالي.

[12] يُطلِق أصحاب هذا **التيار السلفي اليوم** على أنفسهم عدة أسماء ومسميات، منها:

1. أهل السنة والجماعة.
2. أهل الحديث: وتسموا كذلك لاشتغالهم بدراسة الحديث الشريف وعلومه.
3. السواد الأعظم: وتسموا كذلك لأن رسول الله ﷺ وصحابته هم الأكثرون الذين تمسكوا بالحق المنزل من عند الله، الذين يجب اتخاذهم قدوة في الحق فَيُتَمسك بما تمسكوا به.
4. الفرقة الناجية: وتسموا كذلك أخذا من الحديث الذي يصف فرقة بالنجاة، وقد وصفت بالنجاة لأنها خرجت عن مفهوم الوعيد في قوله عليه السلام: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة....الحديث، أنظر تخريج الحديث في هذا الكتاب عند الكلام عن تخريج حديث (افتراق الأمة).
5. الطائفة المنصورة: وتسموا كذلك أخذا من الحديث الذي يصف طائفة بالمنصورة، لأن الله ينصرها ويؤيدها على من سواها ممن تزعم البدع والباطل والكفر، لأنها ناصرة للحق مدافعة عنه ومحافظة له.
6. الغرباء: ويُقصد به أنهم في الأزمان المتأخرة يكونون قلة بين الأمة المحمدية مع قوتهم وعزتهم، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ في أول الإسلام، وهم يستشهدون بذلك بقوله عليه السلام: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ؛ فطوبى للغرباء" حديث الغرباء رواه مسلم برقم 145 وابن ماجة برقم 3221، وكل النقاط (1 .6) من كتاب: عيسى مال الله فرج: المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث، ص 13وأنظر ما كتبناه عن هذه التسميات في فقرة "الوهابية والسلفية" في هذا الكتاب.

الوهابيون: هم كل من ينتسب إلى مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية تحارب ضد "الاستغاثة بالأولياء والصالحين، الأحياء والأموات وزيارة قبورهم وطلب الشفاعة منهم؛ واعتبر تلك الممارسات شركاً أعظم بالله تعالى، وكفراً مخرجاً من الملة" انظر: أحمد الكاتب: الفكر السياسي الوهابي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 2008، ص 10

7. السلفيون: السلفية هي المنهج الذي اعتمده وسار عليه السلف الصالح في اعتقاداتهم ومعاملاتهم وأحكامهم وتربيتهم ودعوتهم وتزكية نفوسهم، وقال الشيخ ابن باز: إن السلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو السلفي؛ ومن خالفهم في ذلك فهو من الخلف". عيسى مال الله فرج: المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث، ص8

(وسنتحدث عن الوهابيين والسلفيين لاحقاً). ومن المفارقات أن خصوماً لهذا التيار (ومنهم الشيعة) يُطلقون عليهم مسمى (الخوارج)، وهم الذين طالما ناصبوا (الخوارج) العداء.

ونقل الصراع بين الأمة وعدوها الكافر المستعمر إلى صراع بين أبناء الأمة: بين شيعي وسني حرباً ضروساً أججت نيرانها الأحقاد والتفجيرات التي يقف وراءها إما الكافر المستعمر حيث يستدرج المغفلين من المتعصبين من الفريقين ليفجروا مساجد السنة أو مراقد الشيعة وحُسينياتهم، ليتهم كل فصيل الآخر ويصب الزيت على نيران الحقد، وقد تتم هذه الأعمال التخريبية من قبل مضبوعين (من أهل السنة) لم يفقهوا حقيقة ما معنى أهل السنة، وما هو الخلاف بينهم وبين الشيعة. وإما من قبل (شيعة) تشربوا الحقد التاريخي على مصرع الحسين رضي الله عنه ومأساة كربلاء، وإما من قبل **سياسيين** "علمانيين طائفيين" يعملون لصالح مصالحهم الدنيئة وعمالتهم للغرب الكافر، ويوظفون إتباعهم المضبوعين بفكرهم، أو بأعطياتهم، أو بإعلامهم التضليلي لإذكاء نار الحرب بين أبناء الأمة.

كذلك اتخذ الصراع بين أبناء الأمة شكل التكفير، وبدلا من أن يصبوا جام غضبهم على الكافر المستعمر الذي نهب خيرات الأمة وأوردها موارد الهلاك والتفرقة، بدلاً من ذلك حولوا الصراع إلى تكفير بعضهم بعضاً، على أساس فرعيات أو دعايات مغرضة، أو اقتطاع لكلام غال لا يقول به إلا ثلة من الغلاة من كل مذهب، فسحبوا الكلام على العامة ورموهم بالكفر وأخرجوهم من الملة!

تحول الصراع إلى أهل سنة ينظر الشيعة إليهم على أنهم نواصب قتلوا أهل البيت، إتباع معاوية ويزيد، وتحول الشيعة إلى صفويين وفرس ومجوس وروافض، واشتعلت نيران الأحقاد والمؤامرات يذكيها الغرب الكافر من جهة، ومَنْ يدَّعون تمثيل أهل السنة أو الشيعة من حكام بعض الدول القائمة في العالم الإسلامي وأضرابهم من جهة أخرى: **ليكون وقود هذه الكوارث عوام المسلمين، وزهرة شبابهم!**

ثم زاد الأمر حدة بأن انتقل الصراع ليدعي كل قوم بأنهم هم أهل السنة وأن من سواهم أهل البدعة والضلالة والخلود في النار!

والآن ينبغي وضع النقاط على الحروف لنفهم ما هي حقيقة مصطلح (أهل السنة والجماعة)؟ متى نشأ هذا المصطلح؟ ما علاقة الشيعي أو الإباضي أو المعتزلي أو الأشعري أوالماتوريدي أوالوهابي أوالسلفي بهذا المصطلح؟ وما علاقة إتباع الفرق الباطنية كالإسماعيلية والدروز والعلويين وغيرهم بالسنة وبهذا المصطلح؟ وهل يتسع هذا المصطلح كل المسلمين بجميع طوائفهم ومذاهبهم وفرقهم؟ وما الفرق بين السنة كمنهج ونظام حياة وطريقة في العيش، وبين السنة كفرقة أو طائفة! فإذا ما تم فهم هذا وتجليته، اختلفت النظرة.

نأمل قراءة البحث قراءة متأنية بعيدة عن الحكام المسبقة الجاهزة، ومناقشة الفكرة بالفكرة، ولنتذكر أن كل إنسان يؤخذ منه ويُرد إلا المعصوم خاتم الأنبياء عليه أفضل وأتم الصلوات وأزكى السلامات، والله من وراء القصد؛ وهو ولي التوفيق.

أبو مالك: ثائر أحمد سلامة

كندا في:

10جمادى الأولى 1438 للهجرة

الموافق 2017/2/5 للميلاد

مفهوم أهل السنة والجماعة لغة واصطلاحاً وتاريخاً

مفهوم كلمة "أهل" لغة:

قال أبو البقاء الكفوي: "أهل آل (...) أو من آل يؤول إذا رجع بقرابة أو رأي".[13] وقال ابن منظور: وأهل المذهب: مَنْ يَدين به، وأهل الإسلام: مَن يَدِين به، وأهل الأمر: وُلاتُه". وقال: "آل: أصلها أهل، ثم قلبت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر[14]."

مفهوم (السنة) في اللغة:

قال ابن فارس: "سن: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة"[15] وقال الجوهري "السنن: الطريقة، والسنة: السيرة".[16] وقال ابن منظور في لسان العرب: و سَنَّ الشيءَ يَسُنُّه سَنّاً أَحَدَّه وصَقَلَه، و سُنَّةُ الله: أَحكامه وأَمره ونهيه؛ هذه عن اللحياني. وسَنَّها الله للناس: بَيَّنها. وسَنَّ الله سُنَّة أَي بَيَّن طريقاً قويماً.... وسَنَنْتُها سَنّاً واسْتَنَنْتُها: سِرْتُها، وسَنَنْتُ لكم سُنَّةً فاتبعوها. وفي الحديث: "من سَنَّ سُنَّةً حَسَنةً فله أَجْرُها وأَجْرُ من عَمِلَ بها، ومن سَنَّ سُنَّةً سيِّئَةً.. "[17] يريد مَنْ عملها ليُقْتَدَى به فيها، وكل من ابتدأ أَمراً عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سَنَّه؛ وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّة وما تصرف منها، والأَصل فيه الطريقة والسِّيرَة، وإذا أُطْلِقَت في الشرع فإنما يراد بها ما أَمَرَ به النبيُّ ﷺ ونَهى عنه ونَدَب إليه قولاً وفعلاً مما لم يَنْطق به الكتابُ العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتابُ والسُّنَّةُ أَي القرآن والحديث.[18]

قال الزمخشري: "سن سنة حسنة: طرق طريقة حسنة، وفلان متسنن، عامل بالسنة".[19] وقال الشريف الجرجاني: "السنة في اللغة الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية، وفي الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب".[20]

يتبين مما ذكر أن (السنة) في أصل الاستعمال اللغوي هي السيرة والطريقة بضميمة معاني الإتباع والاقتداء.[21]

---

[13] أبو البقاء الكفوي الكليات، ص: 171

[14] ابن منظور: لسان العرب، 29/11. 31

[15] معجم مقاييس اللغة، 60/3

[16] الصحاح، 2138/5- 2139.

[17] مسلم، كتاب الزكاة؛ رقم 1017، ورواه أيضاً الترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارمي.

[18] ابن منظور اللسان

[19] الزمخشري، أساس البلاغة، ص: 310.

[20] الجرجاني، التعريفات، ص: 134.

[21] أهل السنة والجماعة، الدكتور أحمد زقاقي

السنة في اصطلاح المحدثين والفقهاء والأصوليين:

السنة في اصطلاح المحدِّثين: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلُقية، أو أضيف إلى الصحابي، أو التابعي، مما لا مجال للرأي فيه.[22]

والسنة في اصطلاح الفقهاء وعلماء أصول الفقه: الحكم التكليفي الذي يسمى بالمندوب أو المستحب أو النافلة وهو ما طلب الشارع فعله طلباً غير جازم فيثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.[23] وهي كذلك عند علماء الأصول فالسنة عندهم: "ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير." وهي ما يقابل القرآن الكريم كدليل يستنبط منه الحكم الشرعي.

كما تطلق السنة على ما يقابل البدعة، وذلك فيما يحدثه الناس في الدين من قولٍ أو عمل مما لم يؤْثَرْ عنه ﷺ، أخذاً من قوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو ردّ)، وفي رواية أخرى (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).[24]

من معاني السنة الإصطلاحية الأخرى:

(1) السُّنَّةُ هي الحَضَارَةُ الإسلاميَّةُ وطريقَةُ الإسْلامِ فيْ العَيْشِ:

من معاني (السنة) أنها التطبيق العملي للإسلام بالكيفية التي قام بها الرسول ﷺ، أي جَعْلُ الإسلام طريقة في العيش بالكيفية التي طبقها الرسول ﷺ، فالسنة هي الطريقة، وطريقته في تطبيق القرآن، وطريقته في بيان أحكامه وتطبيقها، والمحجة البيضاء التي تركنا عليها وأمرنا بعدم الزيغ عنها، هي السنة، وهذا ما يفهم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: فيما روى ابن ماجة[25]: عن العرباض بن سارية: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك؛ من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين[26] عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإنْ عبداً

---

[22] أنظر في تعريفات السنة: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، ص 3 ونور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، ص 29 ومصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي، ص 47

[23] أنظر لتعريف السنة عند الأصوليين: بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: عبد القادر عبد الله العاني، مراجعة د. عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف الكويتية، ج1، ص 284 ومحمد حسن عبد الله: الواضح في أصول الفقه، دار البيارق، ص 226 وعز الدين هشام البدراني: عجالة المتفقة إلى معرفة أصول الفقه، دار الكتاب الثقافي، ص 74

[24] أخرجه البخاري برقم 2697 ومسلم برقم 1718 وغيرهما.

[25] اعتمدنا في تخريج أحاديث هذا البحث على كتاب: "الكتب الستة، اعتنى به رائد بن صبري بن أبي علقة، مكتبة الرشيد، الطبعة الأولى 1426هـ= 2005م". وسنشير إلى أي مصدر آخر رجعنا إليه في تخريج الأحاديث.

[26] قال القاري في المرقاة: " فعليكم بسنتي " أي بطريقتي الثابتة عني واجباً أو مندوباً، وسنة الخلفاء الراشدين فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها انتهى كلام القاري. وقال صاحب سبل السلام: أما حديث: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ "، أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة والترمذي

حبشياً فإنما المؤمن كالجمل الأُنف حيثما قيد انقاد)[27] وفي رواية: ...(فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والمحدثات فإن كل محدثة بدعة).

فواضح هنا أن المقصود من قول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، واضح أن المعنى طريقة عيش الرسول عليه السلام والتي سار عليها من بعده الخلفاء الراشدون، وهي تطبيق الإسلام من كتاب وسنة بشكل عملي في الحياة.

فلئن تفكرنا ملياً في سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعد الرسول عليه السلام، والتي عقب عليها بأمره بالطاعة لهم، فلا شك أنها تطبيق الكتاب والسنة من خلال الدولة الإسلامية التي تفرض الإسلام وتطبقه طريقة في العيش، تأمل في قوله عليه الصلاة والسلام: ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، واربطه بقوله عليه الصلاة والسلام: "تركتكم على البيضاء، لا يزيغ عنها..."[28] واربطه أيضاً بالوجاء أي الوقاية والحفظ من هذا الانحراف عن الكتاب والسنة: وهو الاعتصام بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين؛ أي عملهم فيكم بالمفاهيم والمقاييس والقناعات التي زرعها فيكم رسولكم ﷺ وعشتم عليها، أي تمسككم بسنة المصطفى عليه سلام الله أي طريقته في العيش، والحضارة هي طريقة العيش وفق مفاهيم معينة محددة (عن الحياة)، فالرسول ﷺ سن للمسلمين وأقام لهم بنيان حضارتهم، فعليهم التمسك بها والعيش على منهاجها.[29]

وصححه الحاكم وقال على شرط الشيخين، فإنه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته ﷺ من جهاد الأعداء وتقوية شعائر الدين ونحوها، فإن الحديث عام لكل خليفة راشد لا يخص الشيخين. ومعلوم من قواعد الشريعة أنه ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبي ﷺ. انتهى ولنا ملاحظة على كلام الصنعاني، بقوله: لكل خليفة راشد، إذ نرى أن الحديث يخص الخلفاء الراشدين الذين عاشوا في عصر الصحابة، يأزر سنتهم سند من إجماع الصحابة. وقال الأحوذي في شرح حديث العرباض بن سارية: (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها قاله القاري.

[27] رواه ابن ماجة في سننه رقم 43[كتاب المقدمة]. ورواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقد صححه الشيخ الألباني، وقيل بأن الحديث ضعيف لا سيما عبارة (وسنة الخلفاء الراشدين) أنظر: بحث (بيان ضعف حديث: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) على الإنترنت.

ttp://www.ibnamin.com/sunnat_khulafa.htm والبحث يعتمد على كتاب الشيخ حسان عبد المنان في تخريج هذا الحديث

[28]قال في اللسان: الزَّيْغُ المَيْلُ،.. وقوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} أَي لا تُمِلْنا عن الهُدَى والقَصْدِ ولا تُضِلَّنا، وقيل: {لا تُزِغْ قلوبَنا} لا تَتَعَبَّدْنا بما يكون سبباً لزيغ قلوبِنا،.. يقال: زاغَ عن الطريق يَزِيغُ إذا عدَلَ عنه. وفي حديث أَبي بكر، رضي الله عنه أَخافُ إِن تَرَكْتُ شيئاً من أَمرِه أَن أَزِيغَ أَي أَجُورَ وأَعْدِلَ عن الحقّ،.

[29] علينا الانتباه للفرق بين الحضارة والمدنية، فالحضارة هي مجموع المفاهيم عن الحياة، والمدنية هي الأشكال المادية للأشياء المحسوسة التي تستعمل في شؤون الحياة. وتكون الحضارة خاصة حسب وجهة النظر في الحياة، فلا يجوز أخذها من الغير، في حين تكون المدنية خاصة وعامة. فالأشكال المدنية التي تنتج عن الحضارة كالتماثيل تكون خاصة، والأشكال المدنية التي تنتج عن العلم وتقدمه والصناعة ورقيها، تكون عامة، ولا تختص بها أمة من الأمم، بل تكون عالمية، ويجوز أخذها.

من هنا فسنة الإسلام: طريقته في العيش، الخضوع له ولأحكامه واتخاذها أسلوباً في العيش، فمن أحيا سنتي، أي من أحيا طريقة العيش التي رسمتها للمسلمين وهو المنهاج الذي اختاره الله سبحانه لنا لنعيش على أساسه، لضبط علاقاتنا مع أنفسنا ومع غيرنا ومع الله تعالى على أساسه، فهو قيادتنا الفكرية، التي علينا أن نحملها وندعو العالم إليها، وقاعدتنا الفكرية، التي ينبني عليها كل فكر، وكل طريقة، أي بيان كيفية التنفيذ للمعالجات التي وضعتها الشريعة لمشكلات الإنسان، وبيان كيفية المحافظة على العقيدة، وبيان كيفية حمل الدعوة للمبدأ الإسلامي، وهذه القاعدة الفكرية أيضا هي التي تنبثق منها وعلى أساسها كل معالجة تعالج جميع مشاكل الحياة، ويتعين على أساسها الاتجاه الفكري للإنسان ووجهة نظره في الحياة.

(ب) السنة تقابل البدعة:

يُلاحظ في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم وغيره من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه حيث يقول رسول الله ﷺ: " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ "[30] كما ورد في سنن النسائي بلفظ "مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا"[31]

فهنا عدَّ المصطفى ﷺ الإسلامَ سنناً حسنة، يقابلها بدعٌ تخرج العامل بها عن الطريقة، لترميه في أحضان البدعة أي الخروج عن السنن .أي المنهج أو الطريقة .التي ترك الرسول ﷺ المسلمين عليها، على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكبها إلا ضال، ومجموع هذه السنن الحسنة يشكل طريقة الإسلام في العيش التي أمرنا بالالتزام بها وأن نعض عليها بالنواجذ على كل ما فيها.

لقد **جاء الإسلام نظام حياة كامل، من خرج عنه ابتدع**، ومن ابتدع ضل.[32]

هذا الحديث (من سن في الإسلام سنة حسنة) يعني: "من فتح طريقاً إلى سنة مشروعة"،[33] لأن كون السنة حسنة أو سيئة لا يمكن معرفتها إلا من طريق الشرع وليس من طريق العقل، فلا ينبغي لإنسان أوتي ذرة من إيمان أن يُحَسِّن أو يُقبِّح بعقله، أي أن السنة في لغة الشرع تشمل كل

[30] ورد الحديث في صحيح مسلم ورقمه (1017، 1697).

[31] ورد الحديث في سنن النسائي ورقمه (2554).

[32] وليس مرادنا هنا حصر البدع بمخالفة طريقة النبي عليه الصلاة والسلام في العيش في دولة الاسلام، فهناك بدع تتعلق بالمسائل الفردية وخصوصا في العبادات.

[33] كمثال: الصدقة من سنن الإسلام المشروعة، فمن فتح طريقا حسنا إلى سنة الصدقة، كأن يخترع سبيلا جديدا يفضي إلى إقامة الصدقة فله أجر من عمل بهذه الطريقة الجديدة، فأول من فتح باب ماء السبيل مثلا سبيلا للصدقة، فقد سن في الصدقة طريقة وسبيلا جديدا له أجر من عمل به إلى يوم القيامة.

الأحكام الشرعية، فهي الطريق التي سار عليها نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وتقسيم ذلك إنما يُفهم من نصوص الكتاب والسنة.

وقد فهم الصحابة ذلك ففي سنن الدارمي جاء في "كتاب المقدمة": عن أبي عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن مسعود: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم."[34] فالإتباع يعني ولا شك العيش وفق طريقة العيش المحددة التي مثلها كالبيضاء؛ ومن هنا كان طبيعياً أن يفهم ابن سيرين رحمه الله تعالى أن الناس إما أهل سنة، وإما أهل بدعة، فهو أول من ورد في كلامه كلمة أهل السنة مقابل أهل البدعة، ولم يكن يعني توصيف فرقة أو طائفة من المسلمين مقابل فرق أخرى كالمعتزلة والجبرية، إذ في زمانه لم يتبلور ذلك المفهوم بعد (حيث كانت وفاته سنة 110 للهجرة)، وإنما أخذ مباشرة من الحديث إنك إما أن تقيم السنة أو تعمل بالبدعة!

(ج) إحياء السنة يكون بإحيائها والعمل بها وتطبيقها عملياً:

أمر الله تعالى بالتأسي بالنبي ﷺ، ووجوب طاعته، والاحتكام إليه، فقال عز من قائل: ﴿قُل إن كنتُم تُحبُّونَ الله فاتَّبِعُوني يُحبِبكُمُ الله ويَغفِر لكم ذُنُوبَكُم والله غَفُورٌ رحيمٌ* قُل أطِيعُوا الله والرَّسُولَ فإن تَوَلَّوا فإنَّ الله لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾ * آل عمران 31 و32) وقال تعالى أيضاً: ﴿لقد كان لكم في رسولِ الله أُسوَةٌ حسنةٌ لِمَن كان يَرجو الله واليومَ الآخر وذَكَرَ الله كثيراً *﴾ الأحزاب 21).

قال رسول الله - ﷺ-: «من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة فعمل بها كان عليه أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا»[35]

المقصود بإحياء السنن هو العمل بهذه السنن، في زمن ترك الناس العمل بها، وكذلك من الإحياء العلم بها ونشرها بين الناس بالقول والعمل، وتعليم الناس هذه السنة، والحث على التمسك بها، والتحذير من مخالفتها. جاء في فيض القدير: "من أحيا سنة أي علمها، وعمل بها ونشرها بين الناس، وحث على متابعتها وحذر من مخالفتها"، والسنة ما شرعه النبي -ﷺ- من الأحكام فقد تكون فرضاً كزكاة الفطر، وقد تكون غيره.[36] وقال السندي في شرح سنن ابن ماجة: قيل المراد بالسنة هنا ما وضعه رسول الله ﷺ من الأحكام وهي قد تكون فرضاً كزكاة الفطر وغير فرض كصلاة العيد وصلاة الجماعة وقراءة القرآن من غير الصلاة وتحصيل العلم ونحو ذلك وإحياؤها أن يعمل بها ويحرض الناس ويحثهم على إقامتها.

---

[34] موقع جامع شيخ الإسلام ابن تيمية: شرح الشرح والإبانة (الإبانة الصغرى) لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، وهذا الأثر رواه الدارمي وابن أبي خيثمة في كتاب العلم بسند صحيح، كما قال محققه الشيخ الألباني، ورواه البغوي في شرح السنة، واللالكائي والهروي ومحمد بن نصر المروزي.

[35] أخرجه ابن ماجه: 1/ 76، برقم: 209، ومسند عبد بن حميد: 1/ 120، برقم: 289، وقال الشيخ الألباني: صحيح لغيره. موقع جامعة الإيمان: مقال بعنوان "إحياء السنن": خالد حسن محمد البعداني. 28 ديسمبر 2012،

[36] موقع جامعة الإيمان: الشيخ عبد المجيد الزنداني، مقال بعنوان "إحياء السنن": بقلم خالد حسن محمد البعداني نقلاً عن فيض القدير: 2/ 9.

وروى الترمذي عن سعيد بن المسيب قال: قال أنس بن مالك: قال لي رسول الله ﷺ: يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي: يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة!

وفي الحديث قصة طويلة قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.[37] وفي أول مسند الكوفيين روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ رجم يهودياً وقال: اللهم إني أشهدك أني أول من أحيا سنة قد أماتوها.[38] فإحياء السنة يعني العمل بها وتطبيقها وجعلها نظام حياة.

مفهوم كلمة "الجماعة":

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجم العين: "الجمع مصدر جَمَعْتُ الشيء، والجمع أيضاً: اسم لجماعة الناس، والجماعة عدد كل شيء وكثرته".[39]وقال ابن دريد: "والجمع خلاف التفريق، جمعت الشيء أجمعه جمعاً إذا ضممت بعضه إلى بعض (...) وفلاة مجمعة يجتمع فيها القوم ولا يفترقون خوف الضلال".[40] قال ابن فارس: "جَمَعَ: الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء.[41] وقال الراغب الأصفهاني: "الجمع ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، ويقال للمجموع جمع وجميع وجماعة، والجماع يقال في أقوام متفاوتة اجتمعوا".[42]

وحاصل هذه الشروح اللغوية يدل على أن الجماعة اسم لعدد من الناس متضام ومؤتلف ومتقارب في الآراء.[43]

---

[37] سنن الترمذي، رقم 2678 وقد ضعفه الألباني.

[38] ورد هذا الحديث في كتاب الحدود من صحيح مسلم [بباب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى] ورقمه 1700 بلفظ: "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه"

[39]الخليل بن أحمد، معجم العين، 1/ 239- 240

[40]ابن دريد، جمهرة اللغة، 103/2

[41]ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 479.

[42]الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، ص: 94- 95.

[43]"أهل السنة والجماعة: "حقيقة الإسم والمسمى بين مطالب الوضوح وجاذبية الواقع المنحرف" شبكة ضياء

مصطلح (الجماعة) له مفهوم شرعي محدد:

ورد في جملة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لفظ الجماعة مضافة إلى المسلمين، ومن ذلك: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: (نضر الله عبداً سمع مقالتي هذه فحملها، فرب حامل الفقه فيه غير فقيه، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن صدر مسلم، إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم).[44]

خطب عمر رضي الله عنه بالشام فقال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم. فقال: استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يُسألها، وباليمين قبل أن يُسألها، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد، فمن سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن)،[45] ففي هذين الحديثين الأمر الصريح بلزوم جماعة المسلمين، ولقد وقفتُ على كلام نفيس للإمام الشافعي رحمه الله يبين فيه معنى أمر النبي ﷺ، بلزوم جماعة المسلمين. فبعد ذكر الإمام الشافعي رحمه الله لحديث عمر السابق قال: فما معنى أمر النبي بلزوم جماعتهم؟

- قلت: لا معنى له إلا واحد.

- قال: فكيف لا يحتمل إلا واحداً؟

- قلت: إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجَّار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى، لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى، إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما. ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها)[46] لاحظ في كلام الشافعي رضي الله عنه أمرين: ما عليه الجماعة من التحليل والتحريم، ومفهوم ذلك: أن أعراف الإسلام هي الأعراف في المجتمع، ومنكراته هي المنكرات، وثانيهما: الطاعة فيهما، والطاعة هنا لله ولرسوله ولأولي الأمر، كما سيتضح بعد قليل إن شاء الله.

ولاحظ أمراً ثالثاً مهماً: اجتماع الأبدان لا يشكل مجتمعاً، ولا معنى له إطلاقاً، بل ما يشكل الجماعة التي على المسلم لزومها وعدم الخروج عنها هو اجتماعهم على المفاهيم، والمفاهيمُ هي أساس تعريف المجتمع؛ تفريقاً له عن تعريف الجماعة، فالشافعي رضي الله عنه يفرق تفريقاً دقيقاً بين جماعة من الناس وبين المجتمع! عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (كان الناس

---

[44] رواه أحمد. سنن ابن ماجه رقم 231و 236و3056 وهو حديث صحيح.

[45] مسند الإمام احمد؛ مسند عمر بن الخطاب، الحديث رقم 109، المجلد الأول. ورواه الترمذي والنسائي في الكبرى وقال الألباني: صحيح. (شبكة مشكاة الإسلامية).

[46] الرسالة بتحقيق أحمد شاكر ص 474 والدرر السنية

يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن،[47] قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي – تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).[48] تأمل هنا: كل ما غير جماعة المسلمين وإمامهم عبارة عن فِرَقٍ، يجب اعتزالها، ويجب لزوم الجماعة والإمام، فلا وجود للجماعة بغير إمام، لأنه لو كان لها وجود بغير إمام لكان بالإمكان لزومها في حال غيابه، وكذلك لا وجود للإمام (أي الخليفة) إلا بأن يكون خليفة على جماعة المسلمين!

عن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات (فذكر الحديث بطوله، قال رسول الله ﷺ: وأنا آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله، فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع).[49]

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية).[50]

وأخرج الترمذي وابن خزيمة وابن حبان ومصححاً من حديث الحارث بن الحارث الأشعري في أثناء حديث طويل، (من فارق الجماعة شبراً، فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه).[51]

لاحظ ألفاظ الحديث **تزاوج بين الخروج من الجماعة، والخروج من السلطان**، وهما شيء واحد، فالسلطان في الإسلام للأمة، تمنحه بعقد البيعة للخليفة ليكون صاحب السلطان: أي رعاية الشؤون وفق أحكام الإسلام، **لذلك كان من الطبيعي أن يكون الخروج على السلطان خروجاً على الجماعة**.

---

[47] قال ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري شرح صحيح البخاري" في معنى: (وفيه دخن) هو الحقد، وقيل الدغل، وقيل فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب. يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرا خالصا بل فيه كدر. وقيل المراد بالدخن الدخان ويشير بذلك إلى كدر الحال، وقيل الدخن كل أمر مكروه. وقال أبو عبيد يفسر: لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه " وأصله أن يكون في لون الدابة كدورة فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض. فتح الباري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

[48] صحيح البخاري؛ كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث رقم 7084و مسلم 1847

[49] الحديث رواه الترمذي في سننه وصححه برقم 2863 ورواه الحاكم والنسائي 8866

[50] رواه البخاري برقم 7053و7054 و 7143 ومسلم 1849

[51] أخرجه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان ومصححاً من حديث الحارث بن الحارث الأشعري.

وأيضاً، فإنه لا معنى للخروج على الجماعة أن يكون خروج الأبدان فقط، وإنما يكون الخروج بالخروج على القيم والمفاهيم التي لدى الجماعة.

على أن **معنى الخروج هنا** هو التحيز إلى مكان وحمل السلاح ضد جماعة المسلمين وإمامهم؛ لاحظ الحديث "ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها..."،[52] **فلفظة الخروج اصطلاح شرعي يقصد به الحرب ضد خليفة المسلمين وجماعتهم** ولذلك قاتل سيدنا علي بن أبي طالب (الخوارج) قتال تأديب.[53]

وفي الحديث المرفوع: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: مَنْ رَأَى مِنْ أميره شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[54] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ. «من فَارق الْجَمَاعَة قدر شبر [شبراً] فقد خلع ربقة الإسلام من عُنُقه»[55]

وربما يحسن التفريق بين المفارقة والخروج؛ فمفارقة الجماعة قد تكون في المفاهيم، - أي حمل فهم معين لبعض الأحكام والأفكار تخالف ما عليه السلطان أو عموم المسلمين - وخلع طاعة الخليفة؛ أي الانحياز لفرقة عقائدية مخالفة لجماعة المسلمين مع بقائه بينهم . أو شقه لجماعة المسلمين بشكل سلمي بدعوى باطلة، ولكن الخروج هو حمل مفارقة الأبدان والتحيز إلى مكان وحمل السلاح يضرب به دولة الاسلام.[56]

المقصود بمفارقة الجماعة:

جاء في الحديث السابق الصَّحِيحِ. «من فَارق الْجَمَاعَة قدر شبر [شبراً] فقد خلع ربقة الإسلام من عُنُقه»[57] فما معنى "خلع ربقة الإسلام من عنقه"؟

قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح: أي نقض عهده وذمته من عنقه وانحرف عن الجماعة وخرج عن الموافقة. وقال بعضهم: المعنى: فقد نبذ عهد الله وأخفر ذمته التي لزمت أعناق العباد لزوم الربقة،[58] فكأنما شبه اجتماع المسلمين على إمام واحد يشد أزرهم ويجعلهم جماعة واحدة، كأولاد الضأن يُشدَّون بحبل واحد فيه عرى تلتف على أعناقهم فتشد وثاقهم فلا يشرد منهم واحد عن ذلك الاجتماع، وجعل ذلك الاجتماع: الإسلام، فقال: خلع ربقة الإسلام من عنقه، ويا له من تشبيه!

---

[52] أخرجه مسلم برقم 1848 و1849 والبخاري 7053 و 7054و7143.

[53] الأستاذ يوسف الساريسي في مراجعته لمسودة هذا الكتاب.

[54] رواه البخاري 7053 و 7054 ومسلم 1849.

[55] حديث صحيح رواه أبو داود برقم 4758

[56] الأستاذ يوسف الساريسي في مراجعته لمسودة الكتاب.

[57] حديث صحيح رواه أبو داود برقم 4758

[58] معنى الربقة: بالكسر، وهي واحدة الربق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به إليه أولاد الضأن؛ والواحدة من تلك العرى ربقة. لسان العرب 112/10

وقال الخطابي: من خرج عن طاعة إمام الجماعة أو فارقهم في الأمر المجتمع عليه فقد ضل وهلك. وروى مسلم في صحيحه: عن أبي قيس بن رياح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال "مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ".[59] وأخرج أحمد من حديث فضالة بن عبيد الأنصاري، عن رسول الله ﷺ أنه قال:"ثلاثة لا تَسْأل عنهم: رجلٌ فارق الجماعه، وعصى إمامه، ومات عاصياً....إلخ"[60]

قال الصنعاني: وقوله "وفارق الجماعة" أي خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمام انتظم به شملهم واجتمعت به كلمتهم وحاطهم عن عدوهم قوله فميتته ميتة جاهلية. [61]

فالمقصود بمفارقة الجماعة هنا أمران:

أولهما: الخروج على طاعة الإمام الذي انعقدت له الإمامة بالبيعة على تطبيق أحكام الله في الأمة.

ثانيهما: الخروج من الجماعة التي اجتمعت على أعراف الإسلام وأنكرت منكراته، فأضحت مفاهيمها قائمة على مفاهيم الإسلام،[62] كما مر من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكان واجباً عليها تطبيق أحكام الإسلام فيها، أي أعطيت السلطانَ بيعتها لتطبيق الأحكام، ثم بايعت الإمام على تطبيق هذه الأحكام فكان ولي الأمر وصاحب السلطان الذي عليه مسؤولية التنفيذ، وليس خروج أبدان، إنما خروج مفاهيم وقناعات. لذلك لم يكن هناك من مسوغ للخروج عن الطاعة وعن الجماعة إلا أن يخلع ربقة الإسلام من عنقه!

فالخروج إذن: خروج عن الجماعة التي لها إمام منتصب، صاحب ولاية لتطبيق الأحكام، فلا يجوز الخروج على هذا الإمام ولا نكث بيعته، ولا الخروج عن أعراف الإسلام التي أضحت أساساً للدولة والمجتمع، وكان واجباً اتخاذها مفاهيم وتنفيذها من خلال نظام حكم يحكم بما أنزل الله!.

كذلك لا يجوزلا الخروج على الجماعة والسلطان بالسلاح مما سيفضي للفتنة!

---

[59] صحيح مسلم، رقم 1848

[60] رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وحسب موقع: صحيح السنة النبوية [وتحت عنوان: الأحاديث الصحيحة في تبرج المرأة] جاء أن الحديث رواه ابن حبان برقم 4559 ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[61] سبل السلام للصنعاني

[62] في الإسلام مفاهيم تفصيلية يجوز الاختلاف فيها، ولكن الاختلاف فيها منضبط بأحكام الاجتهاد والتقليد، فما ثبت أنه من الإسلام من طريق اجتهاد شرعي صحيح منضبط بقواعد الاجتهاد أضحى من مفاهيم الإسلام التفصيلية التي يجوز حملها (أي من أحكامه)، وتدخل في جملة أعراف المجتمع، وهناك أحكام قطعية غير قابلة للخلاف فيها كمفاهيم الإعتقاد، وقطعيات الأحكام، فهذه لا خلاف فيها لأنها قطعية، وهكذا، فإن ما يمكن عده من مفاهيم الإسلام وأعرافه منضبط حتى وإن كان موضع خلاف في بعض تفصيلاته، إلا أن آلية استنباطه وآليه تقليد الاجتهاد فيه منضبطة بحيث يمكن بسهولة التفريق بين ما هو إسلام وما هو غيره.

ويؤيد هذا أن هذه الأحاديث الثلاثة قد وردت بألفاظ أخرى متقاربة وفيها: (من خرج من السلطان شبراً) بدل (من خرج من الجماعة شبراً). والحديث مروي عن ابن عباس نفسه رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: (من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية). وفي رواية عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية). قال ابن حجر رحمه الله: (وقوله "شبراً" كناية عن معصيته السلطان ومحاربته، قال ابن أبي جمرة: المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكنَّى عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق)،... إلى أن قال: (والمراد بالميتة الجاهلية: حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً).[63]

وأخرج أحمد من حديث فضالة بن عبيد الأنصاري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ثلاثه لا تسأل عنهم، رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه، ومات عاصياً....)[64] وعند أحمد أيضاً حديث النعمان بن بشير قال ﷺ (...والجماعة رحمة، والفرقة عذاب)[65] وأخرج مسلم عن عرفجة أن رسول الله ﷺ قال: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريدُ أن يَشُقَ عصاكم، ويفرق جماعتكم فاقتلوه[66]). وعن عمر عند النسائي وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال: (......، فمن أحبَ منكم أن ينال بحبوحه الجنه فليلزم الجماعة).[67]

"ال" في كلمة "الجماعة" هي للعهد لا للجنس:

فـ"ال" في قوله (الجماعة) إما أن تكون للجنس، أو للعهد، فأما ال الجنس فتقسم إلى نوعين: (ال) الاستغراق؛ و(ال) الماهية:

فأما (ال) التي للاستغراق، فإما أن تكون لاستغراق جميع أفراد الجنس، أو لاستغراق جميع خصائصه، وعلامةُ "ال" الاستغراقية أن يَصلُحَ وُقوعُ (كلّ) موقعَها، فإن كان (كل) حقيقة لا مجازاً نحو،﴿وخُلق الإنسانُ ضعيفاً * النساء 28﴾ فتقول: وخُلق كل إنسان ضعيفاً، فهذه تكون لاستغراق جميع الأفراد، أو أن تكون (ال) الاستغراق تفيد الإحاطة والشمول بصفات أو خصائص أفرادها، وهي أن يَصلُحَ وُقوعُ (كلّ) موقعَها، مجازاً لا حقيقة، نحو:خالد الرجل، أي خالد بمنزلة الرجل لوجود خصال الرجولة فيه، إذ لو قيل: خالد كل رجل، على وجه المبالغة والمجاز لصحَّ، بمعنى أنه اجتمع فيه ما افترق في غيره من الرجال.

---

[63] فتح الباري لابن حجر

[64] رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وحسب موقع [صحيح السنة النبوية [وتحت عنوان: الأحاديث الصحيحة في تبرج المرأة] جاء أن الحديث رواه ابن حبان برقم 4559 ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[65] رواه أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" 2 / 276

[66] رواه مسلم برقم 1852

[67] جزء من حديث رواه الترمذي برقم 2165 والنسائي 9225

وأما (ال) الماهية، وهي التي يراد منها بيان حقيقة الجنس القائمة في الذهن مما ينطبق على القليل وعلى الكثير، دون اعتبار العدد أو الصفات الطارئة أو دون التعرض لأفراده، نحو: الألماس أصلب من الحديد، فماهية الألماس أصلب من ماهية الحديد، ونحو: أهلك الناسَ الدينارُ والدرهمُ أي: جنسهما، وليس المراد كل فرد. فإن من الدنانير والدراهم ما يكون زاداً لصاحبه إلى الجنة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ * الأنبياء 30﴾ أي: من هذه الحقيقة لا من كل شيء اسمه ماء.

وأما "ال" التي للعهد، فهي إما أن تكون للعهد الذِّكريّ وهي ما سبقَ لمصحوبها ذكرٌ في الكلام، كقولكَ "جاءني ضيفٌ، فأكرمت الضيفَ" أي الضيف المذكور. ومنه قولُه تعالى ﴿كما أرسلنا إلى فِرعونَ رسولا، فعصى فرعونُ الرسولَ * المزمل 15﴾.

وإما أن تكون للعهد الحُضوريّ وهو ما يكونُ مصحوبُها حاضراً، مثل "جئتُ اليومَ"، أي اليومَ الحاضرَ الذي نحن فيه.

وإما أَن تكون للعهد الذهنيّ وهي ما يكونُ مصحوبُها معهوداً ذهناً، فينصرفُ الفكرُ إليه بمجرَّدِ النُّطقِ به، مثل "حضرَ الأمير"، وكأن يكون بينك وبينَ مُخاطَبك عهدٌ برجلٍ، فتقول حضرَ الرجلُ"، أي الرجلُ المعهودُ ذِهناً بينك وبين من تخاطبه.[68]

فلا شك إذن أن لفظ الجماعة الوارد في حديث الرسول ﷺ: (فمن أحبَ منكم أن ينال بحبوحه الجنه فليلزم الجماعة)؛ للعهد، سواء أكان للعهد الذهني من باب أن لفظة الجماعة معروفة واضحة محددة، أو العهد الحضوري، **أي الجماعة التي أنشأها الرسول ﷺ ويريد استمرار سنتها**. وهذا ما يهمنا في المسألة، وهو أن الجماعة معروفة مفهومة معهودة في حديث الرسول ﷺ.

مواصفات الجماعة التي أمر الرسول ﷺ بها:

هنا مسألة: ما هي مواصفات هذه الجماعة التي أمر الرسولُ ﷺ بها وكيف نعرفها ؟؟ نعود الى أحاديث الرسول ﷺ لتحدد لنا مواصفات وتعريف هذه الجماعة؛ لنجد لها عدة علامات أهمها:

1) وجود مجموعة من الناس لها إرادة موحدة وسلطان ذاتي، وهذا معنى جزئية (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد...).[69]

2) اجتماع هذه الجماعة على مفاهيم معينة أضحى لهذه الجماعة بهذه المفاهيم سلطانٌ تبايع الإمام على أن يطبق عليهم نظاماً منبثقاً عن تلك المفاهيم والقناعات، فالاجتماع هنا إذن اجتماع على أحكام الإسلام.

3) اجتماع هذه الجماعة على إمام، فمن خلع بيعة الإمام خلع ربقة الإسلام من عنقه.

4) اجتماع الجماعة على ما فيه وحدة كلمة الأمة، فمن خرج عن هذه الوحدة وشق عصا الأمة؛ أضعفها.

---

[68] جامع الدروس العربية للغلاييني، وتعجيل الندى بشرح قطر الندى بتصرف

[69] رواه مسلم برقم 1852

فحديث عرفجة السابق الذي يقول فيه ﷺ: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريدُ أن يَشُقَ عصاكم، ويفرق جماعتكم فاقتلوه)،[70] وحديث حذيفة الذي يقول فيه ﷺ: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)[71] قَرَنَ فيهما الرسولُ ﷺ الجماعة بالإمام، وحديث ابن عباس المتفق عليه والذي فيه: قال رسول الله ﷺ: (من رأى من أميره شيئاً فكرهه، فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت، إلا مات ميتةً جاهلية)،[72] فيه أن عدم الصبر على الأمير وخلع طاعته؛ مفارقةٌ للجماعة، وحديث أبي هريرة والذي فيه: قال رسول الله ﷺ (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة)[73] يبين أن الخروج هنا خروجٌ من طاعة الإمام، مفارقةٌ للجماعة.

فأُولى العلامات التي تحدد مفهوم الجماعة [في شرعنا الإسلامي] هي اجتماعها على أمير. ثم إن العقد الذي بينها وبين الأمير هو البيعة على السمع والطاعة على أن يطبق فيهم الأمير أحكام الله تعالى، وذلك أخذاً من جملة من الأحاديث؛ منها: روى مسلم في صحيحه في باب الإمارة: عَنْ نَافِعٍ قَالَ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ[74] مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً فَقَالَ إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً "،[75] وقال ﷺ: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات، مات ميتةً جاهلية".[76] قال الصنعاني: وقوله "وفارق الجماعة" أي خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمام انتظم به شملهم واجتمعت به كلمتهم وحاطهم عن عدوهم؛ فميتته ميتة جاهلية.[77] وتمام الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُميَّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة – وفي رواية (ويغضب لعصبته ويقاتل لعصبته وينصر عصبته) فقتل فقتلة جاهلية؛ ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي

---

[70] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم 60/1852

[71] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن... حديث رقم 1847

[72] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة... حديث رقم 1849والبخاري 7053

[73] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة... حديث رقم 1848

[74] موقعة الحرة: وقعت سنة 63هـ وسببها تمرد بعض أهل المدينة على الخليفة يزيد بن معاوية ومحاولة خلعه بعدما حدث في كربلاء ومقتل الحسين، فجهز يزيد جيشاً قضى على الثائرين ضده، وقد جرت مبالغات كثيرة في عدد القتلى من أهل المدينة، وأما القول بأن جيش يزيد استباح المدينة وهتك أعراض المئات من نسائها فأقوال لم تثبت علمياً، وهناك من الباحثين من شكك أصلاً في حدوث"واقعة الحرة" مثل الدكتور نبيه عاقل والدكتور حمد العينان والأستاذ هزاع بن عيد الشمري في كتابه "يزيد بن معاوية الخليفة المفترى عليه، ص 120".

[75] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة.... حديث رقم 1851

[76] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة... حديث رقم 1848

[77]سبل السلام للصنعاني

عهد عهده فليس مني ولست منه)[78] وحديث فضالة (رجل فارق الجماعة وعصى إمامه)[79]، فكلها تدل على أن عصيان الإمام مفارقة للجماعة.

فهذه كلها مما يؤيد النقطة الثانية أعلاه، وهي اجتماع كلمة الأمة على مفاهيم معينة؛ فالخروج عليها والقتال تحت ألوية أخرى انتصاراً لعصبيات، خروجٌ على مفاهيم الوحدة باتجاه الانتصار لعصبيات جاهلية، فلا يصح الانتصار إلا للدين. فعن عرفجة بن شريح الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: (إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)،[80] وفي رواية (فاقتلوه). وفي رواية للنسائي عن أسامة بن شريك قال: قال رسول الله ﷺ (أيما رجل خرج يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه)،[81] قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: (فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك؛ ويُنهَى عن ذلك، فإن لم ينته قوتل؛ وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقُتلَ كان هدراً، فقوله ﷺ، فاضربوه بالسيف وفي الرواية الأخرى فاقتلوه معناه: إذا لم يندفع إلا بذلك)[82] فهذه تؤيد النقطة الثالثة أعلاه، وفي الخروج على الجماعة وإمامها إضعاف لكلمة المسلمين المجتمعة.

فكل هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أن الجماعة المطلوبة شرعاً،(هي الاجتماع على الإمام؛ والاجتماع على مفاهيم الإسلام، والاجتماع على وحدة كلمة المسلمين)، وبذلك تتكون جماعة المسلمين؛ ويؤيد هذا إجماع الصحابة على تسمية عام 41 للهجرة، عام الجماعة، لأن الناس اجتمعوا على معاوية خليفة للمسلمين بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة له. أي اجتمع المسلمون على إمام واحد ومفاهيم واحدة، واجتمعوا معاً بعدما كانوا متفرقين متحاربين.

قال ابن خلدون في تاريخه: واستقر الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين وسمي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك.[83] فالمطلوب شرعاً أن يكون المسلمون جميعاً على رجل واحد هو الإمام، **لأن المطلوب كما أسلفنا إيجاد "جماعة" معهودة، مخصوصة، لا مطلق جماعة**، وإلا فإنه يجوز أن نطلق على مجموعة من الناس في طائرة: جماعة. ويجوز أن نطلق على القبيلة المجتمعة على رجل واحد تصدر عن رأيه: جماعة، وكذلك جاز أن نطلق على الحزب الذي يجتمع على رجل يطيعونه: جماعة، وهذا مخالف للنصوص أعلاه، فالمطلوب ليس مطلق جماعة، بل المطلوب إيجاد وتكوين "جماعة" محددة مخصوصة، معهوده، هي الجماعة على الإمام في دار العدل، تحتكم للإسلام، وتتبنى مفاهيم الإسلام، وتقيم

---

[78] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة... حديث رقم 1848

[79] رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وحسب موقع [صحيح السنة النبوية] وتحت عنوان: الأحاديث الصحيحة في تبرج المرأة] جاء أن الحديث رواه ابن حبان برقم 4559 ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[80] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ... حديث رقم 1852

[81] سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب: قتل من فارق الجماعة، الحديث رقم 4023، وأنظر الأحادي التي سبقته 4020. 4022

[82] صحيح مسلم بشرح النووي

[83] تاريخ ابن خلدون ص597

السلطان على أساسها. وقد روى الحاكم في مستدركه فقال: أَخْبَرَنَا[84] أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَحْبُوبِيُّ، ثنا سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودٍ، ثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنْبَأَ الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ الأنصاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الَّتِي بَعْدَهَا كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَالشَّهْرُ إِلَى الشَّهْرِ - يَعْنِي مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا» ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: «إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ» فَعَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمْرٍ حَدَثَ، فَقَالَ: «إِلَّا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ وَنَكْثِ الصَّفْقَةِ وَتَرْكِ السُّنَّةِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَمَّا الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا نَكْثُ الصَّفْقَةِ وَتَرْكُ السُّنَّةِ؟ قَالَ: " أَمَّا نَكْثُ الصَّفْقَةِ: أَنْ تُبَايِعَ رَجُلًا بِيَمِينِكَ، ثُمَّ تَخْتَلِفَ إِلَيْهِ فَتُقَاتِلَهُ بِسَيْفِكَ، وَأَمَّا تَرْكُ السُّنَّةِ: فَالْخُرُوجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ»[85] هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، فَقَدِ احْتَجَّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ الأنصاري، [وقال الحاكم النيسابوري] وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً. وقال الذهبي: على شرط مسلم ولا أعرف له علة.

ورواه بإسناد آخر: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْعَدْلُ، أَنْبَأَ السَّرِيُّ بْنُ خُزَيْمَةَ، أَنْبَأَ عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَاسِطِيُّ، ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ، ثَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي بَعْدَهَا كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا - قَالَ: ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ - إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَنَكْثُ الصَّفْقَةِ، وَتَرْكُ السُّنَّةِ «أَمَّا نَكْثُ الصَّفْقَةِ فَالْإِمَامُ تُعْطِيهُ بَيْعَتَكَ ثُمَّ تُقْبِلُ عَلَيْهِ تُقَاتِلُهُ بِسَيْفِكَ، وَأَمَّا تَرْكُ السُّنَّةِ فَالْخُرُوجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وقال الذهبي: صحيح.

الحكم الشرعي في وجود الجماعة والتزامها؟

وجود جماعة للمسلمين فرض، وفرض كذلك العمل على إيجاد إمام واحد جامع لأمة الإسلام (خليفة)، وبالتالي فإن التزام جماعة المسلمين فرض، وتارك هذا الفرض آثم شرعاً، ولا خلاف في ذلك.[86] ولذلك قيل: "مفهوم الجماعة الشرعي: يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (من نزع يداً من طاعة الله فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية)،[87] ففي هذا الحديث الشريف ربط الرسول ﷺ بين نزع اليد من الطاعة وبين مفارقة الجماعة، أي قرن بين ترك الجماعة وخلع البيعة، وأخبر أن من يفعل ذلك فإنه يموت ميتة جاهلية، كناية عن الحرمة الشديدة، والإثم الكبير الذي يحيق بمفارق الجماعة".[88]

---

[84] يستعمل المحدثون وعلماء الحديث كلمات ومختصرات مثل: [أخبرنا] ويمكن اختصارها إلى (أنا / أبنا / أرنا) ويمكن اختصار [حدثنا] إلى (ثنا / نا) و[قال حدثنا] إلى (قثنا) وأما [أنبأنا] فليس لها اختصار على الأرجح.

[85] الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة والجمعة إلى الجمعة والشهر إلى الشهر كفارة لما بينهما، الحديث رقم 420 مسألة رقم 174

[86]أبو مهدي، هانئ الأشهب: حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة.

[87] رؤواه أحمد، وقريب منه لفظ مسلم (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية* صحيح مسلم، كتاب الإمارة 1848).

[88] مجلة الوعي / بيروت: العدد 116

وفي حديث موقوف عن سيدنا عمر: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: تَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ فِي زَمَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: "يَا مَعْشَرَ الْعُرَيْبِ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ، إِنَّهُ لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ، وَلَا إِمَارَةَ إِلَّا بِطَاعَةٍ، فَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى الْفِقْهِ، كَانَ حَيَاةً لَهُ وَلَهُمْ، وَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى غَيْرِ فِقْهٍ، كَانَ هَلَاكًا لَهُ وَلَهُمْ "[89] فبنى عمر رضي الله عنه الإسلام على الجماعة، وبنى الجماعة على الإمارة، وبنى الإمارة على الطاعة، أي إنه أدرك .بناء على ما تعلمه من سيدنا الرسول ﷺ ـ أن لا إسلام فاعلاً إلا بجماعة عليها أمير وله الطاعة، ثم بين نوع الطاعة! فقرر أن الطاعة الصحيحة لا تكون إلا لأمير أمَّره قومُه على أساس الفقه".[90] أي على أساس الحكم بشرع الله. فماذا يفيد الطلب في هذه الأحاديث والآثار؟ [انظر الفقرة الخاصى بمواصفات الجماعة التي أمر الرسول ﷺ بها].

الراجح من أقوال الأصوليين والفقهاء، أن مجرد الأمر والطلب في الأدلة لا يفيد الوجوب والفرض، بل لابد من قرائن تصرف الأمر والطلب إلى الفرض والوجوب أو كونه مباحاً أو مكروهاً أو مندوباً،[91] والرسول ﷺ في هذه الأحاديث أمر بالتزام الجماعة، ونصوص هذه الأحاديث ورد فيها مايلي:

1) في حديث ابن عباس قوله عليه السلام (إلا مات ميتة جاهلية).
2) في حديث فضالة قوله عليه السلام (لا تسأل عنهم).
3) في حديث النعمان قوله عليه السلام (والفرقه عذاب).
4) في حديث عرفجة قوله عليه السلام (فاقتلوه).
5) في حديث الحارث قوله عليه السلام (فقد خَلَعَ رِبقَةَ الإسلام من عنقه).

فهذه كلها قرائن على أن الطلب في الأحاديث للجماعة طلب جازم، فالرسول ﷺ لايصف ميتة لمسلم بالجاهلية، ويصف فرقته بأنها عذاب، ويأمر بعدم السؤال عنه، ويأمر بقتله، ويقول عنه أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا إذا كان هذا المسلم قد ارتكب حراماً أو ترك فرضاً، أما تارك المندوب فلا يوصف بأوصاف زاجرة كهذه.

استحداث مصطلح "أهل السنة والجماعة":

يقول الأستاذ أحمد أمين في كتاب ظهر الإسلام، "والسنة في أهل السنة تحتمل أحد معنيين: إما أن تكون السنة بمعنى الطريقة، أي أن أهل السنة اتبعوا طريقة الصحابة والتابعين في تسليمهم

[89] سنن الدارمي رقم 253
[90] أحمد الخطيب، الوعي، العدد 116
[91] المسألة خلافية عند علماء أصول الفقه في مسألة الأمر والنهي إن كان مجرد الأمر يفيد الوجوب أم لا، وحول الرأي الذي أدرجناه أعلاه أنظر: تقي الدين النبهاني: الشخصية الإسلامية، الجزء الثالث: أصول الفقه، دار الأمة، ط3، 1426هـ = 2005م، فصل الأوامر والنواهي، ص 207 .234.

بالمتشابهات من غير خوض دقيق في معانيها، بل تركوا علمها إلى الله، وإما أن تكون السنة بمعنى الحديث أي أنهم يؤمنون بصحيح الحديث، ويقرونه من غير تحرز كثير، وتأويل كثير كما يفعل المعتزلة[92].

تبين لنا من دراسة الأحاديث أن لفظ (الجماعة) لا يطلق إلا على انضواء المسلمين تحت راية إمام يعطونه البيعة، ويمنحونه بها السلطان الذي أعطاهم الله إياه، على أن يحكم فيهم بشرع الله تعالى، فحين يوجد الإمام توجد الجماعة، وحين توجد الجماعة، تعطي الإمام البيعة فيغدو إماماً، فهما كلٌ لا ينفك، فلذلك لا يصح بحال أن تتسمى طائفة أو فرقة من الأمة دون غيرها بوصف الجماعة، فلا يصح وصف الأشاعرة بأهل الجماعة، ولا وصف السلفيين أنفسهم بأنهم أهل الجماعة، ولا وصف أهل الحديث بأنهم أهل الجماعة، ولا وصف أهل الأثر أنفسهم بأنهم أهل الجماعة، فأهل الجماعة هم جمهور الأمة الإسلامية حين يعيشون في ظل دولة إسلامية تحكمهم بالشرع، ومن القرائن على ذلك أن العام الذي تنازل فيه الحسن بن علي بن أبي طالب عن الحكم لمعاوية بن ابي سفيان (41هـ) سُمي بعام الجماعة، فقد انضوت تحت هذا المسمى جميع القوى الإسلامية الفكرية والعسكرية التي كانت مختلفة: جماعة (علي بن أبي طالب) و جماعة (معاوية بن أبي سفيان) ومن وقف على الحياد والخوارج، فكانوا جميعاً "جماعة المسلمين"[93].

تناولنا فيما سبق مفهوم السنة لغة واصطلاحاً، وكذلك مفهوم الجماعة، ومواصفات الجماعة التي أمرنا الرسول صلى الله عله وسلم بإيجادها والتزامها والمحافظة عليها، والآن سنعرج على مفهوم (أهل السنة)، فهاتان الكلمتان عند اجتماعهما تشكلان مصطلحاً واحداً ومفهوماً له دلالة محددة، وهو ما سندرسه الآن.

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ * الحج 78﴾:

حين وصف القرآن المؤمنين، وصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍۦ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَۦ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ *﴾ سورة الحج78)، قال الطبري في تفسيره: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: ألا

---

[92] أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ج 4، ص 789

[93] يرى الأستاذ زياد سلامه أنه: "من باب التجوز يمكن إطلاق (جماعة المسلمين) على عامة المسلمين ولو كانوا لا يعيشون تحت ظل الخلافة ووجود إمام يجمعهم، شأن عامة المسلمين هذه الأيام، ما داموا لم يتميزوا بأفكار بدعية أو تأويلات خاصة لمسائل كلامية نشأت عليها الفرق الأخرى." ولا أوافقه (الكاتب) على ذلك الإطلاق، وذلك لتعلق أحكام شرعية بالجماعة وترتيب أحكام شرعية على الخروج على مفاهيمها. والله أعلم.

ترى قول إبراهيم ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ *﴾ البقرة 128 قال: هذا قول إبراهيم ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة، ذُكرت بالإيمان والإسلام جميعاً، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان، انتهى.

إذن **فقد اختص الله تعالى هذه الأمة بتسمية المسلمين** من دون الأمم، وإن كان أطلق على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصف الإسلام، إلا أن اسم المسلمين علامة على أمة لم يختص به إلا هذه الأمة، فكان موضع شرف لها. كما وأطلق على أهل المدينة وصف المهاجرين والأنصار، وامتدحهم الله تعالى ورضي عنهم بخصلتي الهجرة والسبق في الإسلام، وخصلة نصرة الدين وإقامة الدولة، ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووْا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم *الانفال 74). ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بإحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ التوبة 100).

قال رسول الله ﷺ "من دعا بدعوة الجاهلية فهو جُثاء جهنم، وإنْ صام وصلى وزعم أنه مسلم، **فادعو بدعوة الله التي سماكم بها: المسلمين عبادَ الله**"[94]

فهنا أمر صريح من الرسول ﷺ بأن ندعو بدعوة الله تعالى التي سمانا بها: المسلمينَ عبادَ الله.

يقول الأستاذ إبراهيم العسعس بأن مسمى المسلمين وأهل السنة يشمل كل المسلمين ولا يقتصر على فرقة دون أخرى؛ فقال:" إن الاسم الذي ارتضى لنا ربُّ العزة الانتساب إليه هو الإسلام، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ *﴾ الحج 78). وهذا الاسم هو الذي أراده لنا رسول الله ﷺ: "من دعا بدعوة الجاهلية فهو جُثاء جهنم، وإنْ صام وصلى وزعم أنه مسلم، **فادعو بدعوة الله التي سماكم بها: المسلمينَ عبادَ الله**"[95]

ولقد سَأل معاويةُ ابنَ عباس رضي الله عنهم فقال: أنت على ملة عثمان أو على ملة علي؟ فقال: لستُ على ملة علي، ولا ملة عثمان، بل أنا على ملة رسول الله ﷺ" وقال ابن تيمية رحمه الله:" الواجب على المسلم إذا سُئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شُكيلي ولا قرفندي،[96] بل أنا مسلم مُتَّبِعٌ لكتاب الله وسُنة رسوله ﷺ". وقال رحمه الله تعالى:" واللهُ قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين

---

[94] مسند أحمد 17344 ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب الإمارة، حديث رقم 3694، ومعنى (جُثاء: جمع جُثوة؛ هو ممن يجثون على الركب في جهنم، أو أنه من جماعات أهل جهنم: لسان العرب 132/14)

[95] مسند أحمد 17344 ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب الإمارة، حديث رقم 3694، ومعنى (جُثاء: جمع جُثوة؛ هو ممن يجثون على الركب في جهنم، أو أنه من جماعات أهل جهنم: لسان العرب 132/14)

[96] شُكيلي وقرفندي: أسماء فرق في زمان ابن تيمية رحمه الله تعالى وذكرها ابن تيمية في آخر الجزء الثالث من مجموع الفتاوى.

عباد الله، **فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا بها إلى أسماء أحدثها قوم سموها هم وآباؤهم ما انزل الله بها من سلطان**".[97]

فمصطلح المسلمين مصطلح عام يستوعب كل من قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، مهما اختلفنا معه خلافات فقهية أو في تفسير بعض المسائل العقدية التي لا تصل حد إنكار معلوم من الدين بالضرورة.

لم يُعهد عن الرسول ﷺ وصف المسلمين بأهل السنة

لم يُعهد عن الرسول ﷺ وصف المسلمين بأهل السنة، ولا بالشيعة، ولا بالمعتزلة، وإن كان قد أمر ﷺ بالتزام سنته، والاقتداء به، ولم يُسمع مصطلح (أهل السنة) عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، أي أن المصطلح لم يكن معروفاً في صدر الإسلام. والروايات التي نسبت للصحابة والتابعين والتي يُفهم منها استخدام مصطلح (أهل السنة) على أنه فرقة أو طائفة جُلها ضعيف، أو أنها لم تكن تعني فرقة أو طائفة؛ من ذلك:

ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره قولاً نسبه لابن عباس رضي الله عنهما، وذُكِرَ أيضاً في تفسير ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْمَرْوَزِيُّ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْمُقْرِئُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ قُدَامَةَ، عَنْ مُجَاشِعِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ* آل عمران 106) قَالَ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة. أ.هـ وقد حكم محقق الكتاب نشأت بن كمال على إسناد هذا الأثر بقوله: كذب، موضوع، علي بن قدامة ضعيف، ومجاشع بن عمرو كان كذاباً .كما قال ابن معين، وميسرة بن عبد ربه كذلك كذاب. أ.هـ وقال مشهور حسن محقق كتاب "إعلام الموقعين": إسناده ضعيف جداً، إن لم يكن موضوعاً، ففيه علي بن قدامة ضعيف، وشيخه مجاشع بن عمرو اتهم بالكذب، وشيخه ميسرة مثله، ثم إن المتأمل في هذا التفسير يجد فيه نكارة، وهي أنه مخالف لنص القرآن الكريم، فقد **بيَّن الله تعالى لنا من هم الذين تبيض وجوههم، ومن الذين تسوَّد وجوههم**، فقال: { يومَ تبيَّض وجوهٌ وتسْوَّد وجوهٌ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوهُهم ففي رحمة الله هم فيها خالدون * آل عمران 106} أ. هـ[98] ومجاشع بن عمرو الوارد في سند هذه الأثر ضعيف منكر متهم. قاله ابن معين وأبو حاتم والبخاري والعقيلي وابن حبان والحاكم والدارقطني. وعلي بن قدامة فيه ضعف أيضاً، قال الذهبي في الميزان: أشار ابن معين إلى لين فيه بقوله: لم يكن البائس ممن يكذب. قال أبو حاتم الرازي: ليس بقوي. اهـ

---

[97] إبراهيم العسعس: السلف والسلفيون: رؤية من الداخل، دار البيارق، ط 2، 1419هـ= 1998م، ص35

[98] ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، المجلد الثاني، ص 475 (تحقيق مشهور حسن آل سلمان).

وفي كتاب البدع لابن وضاح: حَدَّثَنَا أَسَدٌ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: " كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فَأَتَاهُمُ الْحَسَنُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: " يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَا تَرَى فِي مَجْلِسِنَا هَذَا؟ قَوْمٌ مِنْ أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يطعنون عَلَى أَحَدٍ، نَجْتَمِعُ فِي بَيْتِ هَذَا يَوْمًا، وَفِي بَيْتِ هَذَا يَوْمًا، فَنَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ، وَنَدْعُو رَبَّنَا، وَنُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَنَدْعُو لِأَنْفُسِنَا وَلِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: فَنَهَى عن ذَلِكَ الْحَسَنُ أَشَدَّ النَّهْيِ.

وفيه أيضاً: نا أَسَدٌ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ قَالَ: " لَقِيتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ الْخُزَاعِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: قَوْمٌ مِنْ إِخْوَانِكَ مِنْ أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَا يَطْعَنُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ هَذَا يَوْمًا، وَفِي بَيْتِ هَذَا يَوْمًا، وَيَجْتَمِعُونَ يَوْمَ النَّيْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ وَيَصُومُونَهُمَا، فَقَالَ طَلْحَةُ:"بِدْعَةٌ مِنْ أَشَدِّ الْبِدَعِ، وَاللَّهِ لَهُمْ أَشَدُّ تَعْظِيمًا لِلنَّيْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ مِنْ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَوَثَبْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ كَمَا سَأَلْتُ طَلْحَةَ، فَرَدَّ عَلَيَّ مِثْلَ قَوْلِ طَلْحَةَ كَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ"

وهما من رواية الربيع بن صبيح [توفي سنة 160] وهو مضطرب جداً. ولخّص ابن حبان الكلام فيه جيّداً وقال: كان من عُبَّاد أهل البصرة وزهادهم وكان يشبه بيته بالليل ببيت النحل من كثرة التهجد الا أن الحديث لم يكن من صناعته فكان يَهِمُ فيما يروي كثيراً حتى وقع في حديثه المنكرات من حيث لا يشعر لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد. اهـ

وفي الرواية الثانية أبان بن عياش وهو ضعيف متروك منكر عند الحفاظ من أمثال شعبة ووكيع وأبي عوانة وأحمد ويحيى بن معين فلا تصحّ بتة. وفي الإبانة الكبرى أيضاً: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَافَلَائِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خِرَاشٍ الشَّيْبَانِيُّ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى* طه 82} قَالَ:"لَزِمَ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ" جعفر بن محمد ثقة، ومحمد بن إسحاق هو ابن خزيمة الإمام، أبو سعيد عبد الله بن سعيد الأشج ثقة أيضاً، ولكن عبد الله بن خراش ضعيف منكر كما صرّح به أبو زرعة وأبو حاتم والبخاري. وقال ابن عدي: عامة ما يروي غير محفوظ.

من هنا، فلنا أن نقول بأن **المصطلح لم يكن معروفاً [لا سيما حسب دلالته المعاصرة] في صدر الإسلام البتة**. وبالتالي فإن مصطلح "أهل السنة" **ليس مصطلحاً شرعياً فليس له حقيقة شرعية يُعرف بها**، بل هو **مصطلح عرفي خاص** استخدمه أهل الحديث ثم استخدمه علماء الكلام لتمييز أنفسهم عن الفرق الإسلامية الأخرى. فها هو كتاب الموطأ للإمام مالك يخلو من كلمة (أهل السنة)، والإمام مالك توفي في سنة 179 للهجرة! فلو كان المصطلح معروفاً حتى ذلك التاريخ لذكره الإمام مالك رضي الله عنه!

وهذا كتاب الأم للشافعي، (توفي 204 للهجرة) لم تذكر فيه لفظة أهل السنة إلا مرة واحدة، وسياقها لا يدل على أنه يعني ما نفهمه اليوم من ذكر "أهل السنة والجماعة" قال رضي الله عنه:

"وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَأْخُذُ مِنْ أهل الْعَدْلِ الْحَقَّ لِأهل الْحَرْبِ وَالذِّمَّةِ وَإِنْ مَنَعَ أهل الْحَرْبِ الْحَقَّ يَقَعُ عَلَيْهِمْ وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالصَّبْرِ لِلْحَقِّ أهل السُّنَّةِ مِنْ أهل دِينِ اللَّهِ تَعَالَى"

ولم يرد ذكر أهل السنة في كتابه (الرسالة)، ولو كان مثل هذا المصطلح معروفاً في زمانه لأكثر من استعماله! ثم إنني بحثت في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وفي كتابه فضائل الصحابة، وفي كتابه الزهد، عن مصطلح أهل السنة فلم يرد في متن المسند ولا في تلك الكتب ولا مرة واحدة، وقد روى الإصطخري عن الإمام أحمد قوله: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق". اهـ وقد جاء في كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم نسبة هذا القول إلى حرب صاحب الإمام ابن حنبل.[99]

ابن سيرين وعمر بن عبد العزيز أول من استخدم هذا المصطلح، ولكن كيف؟

ولعلّ أوّل ظهور لهذا المصطلح: أي أهل السنة، هو الذي جاء في كلام ابن سيرين .المتوفّى سنة 110 هـ. حين قال: (كانوا لا يسألون عن الإسناد حتّى وقعت الفتنة، فلمّا وقعت الفتنة سألوا عن الإسناد، ليُحدَّث حديث **أهل السنّة** ويُترك حديث **أهل البدعة**)[100] واضح أن معناه: المشتغلين بالسنة ورواتها الثقات. وظهر في رسالة لعمر بن عبد العزيز يرد فيها على القدرية قال فيها: (... وقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة)، وعلى الأرجح أنه يفهم من قوله ما فهم من قول ابن سيرين قبل قليل. فاستعمال اللفظ من باب المقابلة بين لفظ السنة والبدعة، **لا من باب استحضار مذهب أو طائفة!**

فكما ترى من الصعوبة بمكان التحقيق في بداية ظهور المصطلح، وإن ذكر فإنما يذكر ذكراً عابراً يظهر منه أنه لما يكن بعد مبلوراً صفة لفرقة أو جماعة معينة.

وصف أهل الحديث بأنهم أهل السنة والجماعة كان بصفته "منهجاً" لا "فرقة"

ولعل المصطلح قد بدأ بالتبلور في بداية القرن الثالث الهجري، نلاحظ قول الخليفة العباسي المأمون [170ـ218هـ= 786 .833م] في رسالته لإسحاق بن إبراهيم واليه على بغداد: "ثُمَّ هم الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقَّ، فدعوا إلى قولهم، **ونسبوا أنفسهم إلى السُّنَّة** في كل فصل من كتاب الله قَصَصٌ من تلاوته، ومُبْطِلٌ قولَهم، ومكذِّب دعواهم، ثم أظهروا مع ذلك أنهم **أهل الحقّ والدين والجماعة**، وأنَّ مَن سواهم أهل الباطل والكُفْرِ والفُرْقَةِ، فاستطالوا بذلك

---

[99] ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح؛ ص258.

[100] صحيح مسلم .المقدّمة .باب 5 .دار الفكر .بيروت .1978 م، الكفاية في علم الرواية / الخطيب البغدادي: 122 .دار الكتب العلمية .بيروت .1988 م

وغَزُوا الجُهَّال" وكان المأمون يعني بذلك من وصفهم بقوله: "السواد الأعظم من حشو الرعيَّة وسَفلة العامَّة ممن لا نظر له ولا رويَّة" و"رؤوسهم من القضاة". ولعلنا نستنبط وجود مصطلح أهل السنة والجماعة من قول الخليفة المأمون استنباطاً لا تصريحاً، ولا أدري أكان مبلوراً وقتها [القرن الثاني والثالث الهجري] أم لم يكن بعدا!

وقد قرأت أن الدكتور رضوان السيد وقع على مخطوطة معتزلية تعود لأواخر القرن الثاني الهجري فيها إشارة إلى أهل السنة والجماعة، ولعلنا نقول بأن تلك الفترة هي فترة بداية تبلور مصطلح أهل السنة منسوباً لجماعة أهل الحديث مثل الإمام أحمد، وابن راهويه، وابن معين، وابن المديني، وتلاميذهم، خصوصاً وأن ذلك العصر شهد اتخاذ المعتزلة بطانة للمأمون، وسعيهم لامتحان الناس بخلق القرآن، فكأن أهل الحديث اتخذوا لأنفسهم هذا الخط ليكونوا حماة للعقيدة، وهم أهل لذلك! وكانت تسميتهم من باب نهجهم نهج رسول الله ﷺ وسنته، لا من باب اتخاذ نفسهم **فرقة دون الفقهاء** **وغيرهم من عامة المسلمين**! فتنبه لهذا فهو غاية في الأهمية.

لعل الفرق بين تسمية أهل الحديث أنفسهم أو تسميتهم من قبل غيرهم بأهل السنة، هو من باب المنهج والاشتغال، فهم اشتغلوا بجمع الحديث وتدوينه والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، واشتغلوا بالرد إلى السنة في كل شأن، **لذلك كانوا أهل السنة "منهجاً" و"مدرسة" لا "طائفة أو"فرقة"**، بينما كان السادة الأشاعرة يتسمون باسم أهل السنة والجماعة كفرقة لتمييز أنفسهم عن فرق المتكلمين الأخرى. قال إبراهيم بن يحيى: (سمعتُ الزعفراني يقول: ما على وجه الأرض قومٌ أفضلُ من أصحاب هذه المحابر، يتبعون آثار رسول الله –ﷺ- ويكتبونها كي لاتندرس)، وقال إبراهيم الحربي: (لا أعلم عصابةً خيراً من أصحاب الحديث، إنما يغدو أحدُهم ومعه محبرة فيقول: كيف فعل النبي -ﷺ- وكيف صلى، إيَّاكم أن تجلسوا إلى أهل البدع؛ فإن الرجل إذا أقبل ببدعته ليس يُفلح). وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه فيهم:(إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيتُ رجلاً من أصحاب النبي -ﷺ- جزاهم الله خيراً، هم حفظوا لنا الأصل؛ فلهم علينا الفضل)، وكما ترى غلب عليهم اسم **أصحاب الحديث**.

أهل السنة بين مدرستي أهل الرأي وأهل الحديث:[101]

هناك قضية هامة لا بد من ذكرها ربما يكون لها علاقة بالموضوع، وهي أن الفقه لدى المسلمين أنقسم في القرن الثاني للهجرة إلى مدرستين وهما مدرسة أهل الحديث ومدرسة أهل الرأي، وكان على راس مدرسة أهل الحديث الإمام مالك بن أنس، وكان على رأس المدرسة الأخرى الإمام أبو حنيفة، وكان يغلب على الأولى إتباع الأثر والبعد عن القياس، والثانية الإكثار من القياس والرأي والإقلال من الأخذ بخبر الواحد. وكان هناك نوع من الصراع بين المدرستين ثم تطورت المدرسة الأولى على يد الإمام أحمد بن حنبل وأصبحت مدرسة فقه وحديث ثم عقيدة على يد ابن تيمية،

[101] الأستاذ يوسف الساريسي

وتوسط الإمام الشافعي بين المدرستين في الفقه. وبالتالي فمدرسة أهل الحديث تهتم بالسنن والآثار أكثر من القياس، ومدرسة أهل الرأي كالأحناف والشافعية غلب عليهم القياس وأصبح أكثر إتباعهم من الماتريدية والأشاعرة في العقيدة، فصار هناك اقتران بين علماء الكلام من الأشاعرة والمذهب الشافعي، واقتران بين الماتريدية والمذهب الحنفي، واقتران بين الحنابلة أهل الحديث وبين المدرسة السلفية لاحقاً في علم التوحيد.

يقول الشيخ محمد الحوت البيروتي[102] ما نصه: "المالكية والشافعية أشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والحنفية ماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي وهما إماما أهل السنة والجماعة" اهـ.

فسمى الحنابلة أنفسهم بأهل السنة بمعنى الأثر والحديث، وسمى الأشاعرة والماتريدية أنفسهم بأهل السنة مقابل أهل البدعة من المعتزلة والجبرية والشيعة وغيرهم، خصوصا وأن **المعتزلة كانوا قد** **تسموا باسم: أهل التوحيد والعدل**، فكانت الأشاعرة تقابل ذلك بتسمية: أهل السنة، ثم تمت إضافة الجماعة الى أهل السنة ليقول كل فريق بأن غالبية المسلمين معه فأصبح مصطلح أهل السنة والجماعة محل صراع بين الحنابلة وبين المتكلمين، كل يدعي بأنه هو أهل السنة والجماعة ليعطي لنفسه صك الشرعية، والله أعلم.[103]

وحسب الدكتور محمد عمارة فقد" تبلورت السلفية النصوصية الأولى .كفرقة ومدرسة وتيار . على يد الإمام الورع أحمد بن حنبل كرد فعل نصوصي على عقلانية اليونان المنفلتة من النصوص الدينية، وعلى الذين تأثروا بهذه العقلانية اليونانية من متكلمي الإسلام، ولذلك حرَّمت هذه السلفية النصوصية لا الفكر اليوناني فقط؛ بل وحتى علم الكلام".[104]

حديث افتراق الأمة

ورد حديث شريف يخبرنا فيه الرسول ﷺ أن أمة الإسلام ستنقسم إلى فرق وطوائف كثيرة ستنوف على السبعين، وهذا الحديث الذي سنذكر بعض رواياته بعد أسطر كان مدار تصحيح وتضعيف عند بعض علماء الحديث.

---

[102] الدرة الوضية في توحيد رب البرية (ص/ ٧٧-٧٨).

[103] حول وجود مدرستي الأثر والرأي، يمكن العودة إلى المراجع التالية: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية؛ الجزء الثاني في تاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي ص 32 وكتاب: تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري، دار الفكر، ط 8، 1967، ص 167 وما بعدها، وكتاب: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد(المدخل الفقهي العام) للشيخ مصطفى أحمد الزرقاء، الجزء الأول، ص 167.171 الفقرة رقم 54 و58. وأنظر كذلك الجزء الأول من إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن قيم الجوزية (صفحات كثيرة ومختلفة).

[104] محمد عمارة: السلف والسلفية، مكتبة وهبة، سلسلة "الإصلاح بالإسلام"، ط 1، 1422هـ = 2011م، ص25

1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً.[105]"

2) عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَاللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الْجَمَاعَةُ."[106]

3) رواية قتادة عن أنس بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ على ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ.[107]"

قام الدكتور حاكم المطيري[108] أستاذ التفسير والحديث في كلية الشريعة في جامعة الكويت بدراسته لهذا الحديث، وجاء في دراسته تلك: "فهذه دراسة حديثة نقدية إسنادية لحديث الافتراق " تفترق أمتي على ثلاث سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة" فإنه مع شهرته وكثرة طرقه، إلا أن الشيخين البخاري ومسلماً تنكبا عنه ولم يخرّجاه، وحكم بعدم صحته ابن حزم فقال"لا يصح أصلا من طريق الإسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد".[109] وغمز في قوة صحته شيخ الإسلام ابن تيمية .مع أنه يصححه .فقال "فمن كفَّر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث " الثنتين والسبعين فرقة" ليس في الصحيحين، وقد ضعَّفه ابن حزم وغيره، لكن حسنَّه غيره أو صحَّحه، كما صحَّحه الحاكم وغيره".[110] وقال الشوكاني "زيادة "كلها في النار" لا تصح مرفوعة ولا

---

[105] حديث أبي هريرة رضي الله عنه:أخرجه التّرمذي في جامعه (رقم 2640)، وأبو داود (رقم 4596) في سننه ومن طريقه البيهقي في السّنن الكبرى 208/10 رقم (20901)، وابن ماجة في سننه (رقم 3991)، وابن حبّان في صحيحهِ 140/14 رقم (6247) وفي 125/15(رقم 6731) والحاكم في المستدرك (رقم 10 و441 و442)، وأحمد 124/14 رقم (8396) كلّهُم من طُرُقٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ.

[106] أخرجه ابن ماجة في سننه (رقم 3992)

[107] أخرجه ابن ماجة في سننه (رقم 3993) وقد قوّى هذا الإسناد بعض الحفّاظ، فقال الضّياء المقدسي:" إِسْنَادُهُ حَسَنٌ". وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنّهاية 37/19:" وَهَذَا إِسْنَادٌ قَوِيٌّ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ."

[108] حاكم المطيري: كلية الشريعة، قسم التفسير والحديث، جامعة الكويت، 2009، بحث محكم في مجلة جامعة صنعاء للقانون والدراسات الإسلامية في العدد العاشر بعنوان "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" بين القبول والرد: دراسة حديثية إسنادية، (البحث منشور على موقع الشيخ الدكتور حاكم المطيري).

[109] المطيري نقلاً عن ابن حزم؛ الفصل في الملل والنحل 138/3

[110] نقلاً عن منهاج السنة 5/ 169 ولم يرد شيخ الإسلام هنا تضعيف الحديث لأنه أثبت صحته في مواضع أخرى وإنما قصد بيان أنه ليس من الصحيح المتفق على صحته.

موقوفة"[111] وقد أورده [الشوكاني] في الفوائد المجموعة.[112] وفي المقابل صحح حديث "الافتراق": الترمذي وابن حبان والحاكم[113] وتابعهم جماعة من المتأخرين".[114]

وخلاصة دراسة الدكتور المطيري للحديث بعد أن تعقب الروايات المختلفة للحديث؛ قوله: "وعلى كل فكل طرق هذا الحديث منكرات وغرائب ضعيفة ومنكرة، وأحسنها حالاً حديث أبي هريرة وهو حديث حسن، (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) مع تساهل كبير في تحسينه لتفرد محمد بن عمرو به، وهو صدوق له أوهام خاصة في روايته عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ولهذا كان القدماء يتقون حديثه كما قال يحيى بن معين. كما ثبت أن حديث أبي هريرة هو أحسنها حالاً ـ وإسناده حسن .وليس في حديثه زيادة:"كلها في النار إلا واحدة"، ومداره على محمد بن عمرو الليثي وهو صدوق له أوهام، وقد تفرد بهذا الحديث عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ولهذا تجنب مسلم تخريج حديثه هذا، مع أنه أخرج له أحاديث أخرى في المتابعات.[115]

تحليل حديث افتراق الأمة على فرض صحة بعض رواياته:

أما زيادة "كلها في النار"، فواضح أنها لا أصل لها، ولا تستقيم حين عرضها على الكتاب والسنة، **أي أنها تعارض الكتاب والسنة، فترد دراية، كما ترد رواية**، فمثلا لو فرضنا صحتها، وقلنا إن ما يسمى بالفرقة الناجية هي أهل السنة، فهل كون المسلم من أهل السنة سيمنعه من دخول النار بسيء عمله؟ فإن قيل: يدخل النار ويخرج، قلنا: وكذلك الشيعي الذي لم يخرج عن ثوابت العقيدة الإسلامية، واختلف في الفروع، يدخل النار بسيئات أعماله ثم يحكم الله فيه، وكما هو معلوم فإن التكفير لا يصدر إلا بناء على إقامة الحجة والبرهان، وبناء على الإيمان بما أُمر المرء بالكفر به، أو عدم اعتقاد ما أُمر المرء بالإيمان به، أو الشك أو الظن بقضايا الإعتقاد الأساسية، أو القيام بالفعل المكفر، فمن لم يقع في شيء من هذا بقي في دائرة الإسلام وإن تسمى بالشيعي أو الزيدي أو المعتزلي أو السلفي أو الأشعري! (وسنتحدث عن التكفير لاحقاً).

---

[111] المطيري نقلاً عن فتح القدير 110/3

[112] المطيري نقلاً عن "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة" رقم 87

[113] أخرج حديث افتراق الأمة الترمذي برقم 2640 وقال محقق كتاب "الكتب الستة" بأنه صحيح صححه الترمذي والحاكم، فقد قال الترمذي: حديث أبو هريرة حسن صحيح، وعن رواية أخرى للحديث (رقم 2641) قال الترمذي: هذا حديث حسن مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه (كتاب "الكتب الستة" سنن الترمذي، كتاب الإيمان، ص 2062).

[114] حاكم المطيري: المرجع السابق.

[115] حاكم المطيري: المرجع السابق؛ أنظر نص الدراسة على الإنترنت، وأنظر كذلك ما كتبه الدكتور محمد عمارة في كتابه"الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية؛ كتاب الهلال، العدد 389 رجب 1403هـ= مايو 1983، ص 154. أنظر بحثاً لعمر بن الجيلاني الشبلي التونسي تحت عنوان: القولُ المبين في حديث تفرّقِ الأمّة إلى ثلاثٍ وسبعين

نقول: فإذا لم يشفع للسني مثلا أن لا يدخل النار بسيئات عمله كونه منتمياً للسنة، وحصل له ما حصل للمسلم الشيعي أو المسلم المعتزلي، من التعذيب والرحمة ودخول الجنة بإذن الله، فإن وصف الشيعي أو المعتزلي بأنه من غير الفرقة الناجية وأنه في النار وصف لا يتماشى مع ثوابت الإسلام! فلم يصلح بذلك إفراد فرقة السنة أو الشيعة أو غيرها بوصف الفرقة الناجية والزج بسائر الفرق غيرها في النار!

الأمر الثاني: إن الافتراق إلى فرق ينظر فيه، فإن كان في دائرة اختلاف في الظنيات، فإنه لا ينتج عنه افتراق فرق وطوائف، وإن كان الإختلاف في القطعيات **فحتماً سيُخْرِج لنا فرقاً متميزة خارجة على الإسلام ومنه**، مثل فرقة أو طائفة الإسماعيلية والدروز، والنصيرية، والبهائية، والبابية، وغيرهم [من الفرق الباطنية] لأنهم **خرجوا عن الإسلام جملة وتفصيلاً** وإن انتسبوا له قولا، بخلاف الإختلاف بين السنة والشيعة والزيدية والمعتزلة (وهذا الإختلاف ليس على إطلاقه محمود، فالمعتزلة مثلا ليسوا على قلب رجل واحد فكراً واعتقاداً، والشيعة مثلا منهم فرق تنفي نبوة الرسول ﷺ وتقول بأن جبريل عليه السلام أخطأ (مثل الغرابية)[116] فهؤلاء لا يستوون مع الإمامية الاثني عشرية، وبعض غلاة الشيعة يقولون أقوالاً في القرآن تخرجهم من الإسلام، فليس الأمر إطلاقاً عاماً، فينظر في كل واحد على حدة، وبالمثل بعض من ينتسب إلى السنة قد يكون مجسماً، أو فاعلاً لأفعال الكفر، وما إلى ذلك، فليس الأمر إذن على إطلاقه بأن نقول: كل السنة، وكل الشيعة وكل المعتزلة على قلب رجل واحد أو على مذهب رجل واحد).

فالخلاصة إذن إن الحديث ـ في روايته المقبولة: رواية أبي هريرة "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" دون زيادة "كلهم في النار..." ـ **<u>لا يفضي إلى تكفير غير أهل السنة، ولا يفضي إلى الحكم عليهم بالنار، ولا يفضي إلى توصيفهم بالفرقة الناجية، لأن الناجي من ينجو من النار</u>**، وإن بَعْدَ عذاب فيها، وهكذا لنا أن نقول بملء الفم: **<u>المسلمون الذين يعتقدون قضايا الإيمان الأساسية، ولا يكفرون صراحة بما أُمروا بالإيمان به، ولا يشكون أو يظنون بما أمروا استيقانه، ولا يقومون بالفعل المكفر فإنهم من الفرقة الناجية على اختلاف أسمائهم ومسمياتهم.</u>**

---

116 الغرابية: قوم زعموا أن الله عز وجل أرسل جبريل عليه السلام إلى علي فغلط في طريقه فذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه، وقالوا: كان أشبه به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب، وزعموا أن علياً كان الرسول وأولاده بعده هم الرسل (أبو منصور عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 280).

بداية ظهور الفرق والجماعات في الإسلام وأشهر هذه الفرق

فيما يلي عرض سريع لأهم الفرق التي ظهرت في العالم الإسلامي، والقصد من ذكرها بيان أن هذه الفرق قد تبلورت حول أفكار محددة، سواء في العقيدة أو نظام الحكم، أو رؤية فلسفية حول بعض القضايا الكلامية، بخلاف ما يُسمى (أهل السنة والجماعة)، مع الإشارة إلى أن الخلافات في القضايا العقدية لم تخرج هذه الفرق في مجملها من دائرة الإسلام.

الفِرْقَةُ لغة هي: "طائفة من الناس"[117] وبطبيعة الحال لا تشكل أي طائفة فرقة إلا إذا اجتمعت بجامع ما، كأن تكون فكرة، أو مبدأ، أو هدف، أو أن تكون هذه الطائفة قد التفت حول شخصية ما، وبهذا تكون (الفرقة) قريبة من مفهوم (الحزب)، فالحزب في أصله اللغوي: جماعة الناس، والجمع أحزاب[118] وجاء في المعجم الوسيط: "تحازب القوم: صاروا أحزاباً، والحِزْبُ: الجماعة فيها قوة وصلابة؛ وكل قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم، وحزب الرجل: أعوانه".[119]

والحزب في المعنى الاصطلاحي والسياسي المعاصر: "هو اجتماع رجال يعتنقون العقيدة السياسية نفسها" وقيل هو:اتفاق عدد من الأفراد على مجموعة من المبادئ والأهداف يبتغون من إنجازها تحقيق الصالح العام، أو على الأقل تحقيق مصالح أعضاء الحزب، وهم أساساً فئة من فئات المجتمع، وقيل جماعة منظمة تشترك في اتجاهات واحدة متصلة بالنشاط السياسي".[120]

ولكن علينا ملاحظة أن "الحزب" والأحزاب قد تكون ضمن الفرقة الواحدة، فقد نشهد الكثير من الأحزاب داخل ما يُسمى العالم السني، أو عند الشيعة أو غيرهما، ولذلك فليس كل حزب يمكن أن نسميه "فرقة" ولكن يمكن أن نسمي الفرقة "حزباً" وعليه، فكل فرقة حزب، وليس كل حزب فرقة.

تحديد معنى الفرقة، وكيف تكون (فِرقة إسلامية) تتميز عن غيرها؟:

قال المؤرخ أبو الفتح الشهرستاني في كتابه "موسوعة الملل والنحل" في بيان معنى مصطلح "فِرقة":" اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفِرَق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونَصٍّ، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود. فما وجدتُ مصنفين منهم متفقين على منهج واحد في تعديد الفرق، وقال: وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط، إلا أنهم

---

[117] ابن منظور: لسان العرب، ج10 ص 301

[118] ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص 308

[119] المعجم الوسيط، ج1، ص 170

[120] هذه التعريفات وردت ضمن عدة تعريفات للحزب السياسي في دراسة للأستاذ "محمد محمود صقر" بعنوان "الحزب السياسي في اللغة والشرع والاصطلاح" وهو منشور على الإنترنت؛ نقلاً عن:"الأحزاب السياسية" لموريس ديفيرجيه (ص2) ترجمة علي مقلد وعبد المحسن سعد، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2011م، و "دراسات في المجتمع والسياسة" للدكتور إسماعيل علي سعد (ص 202) طبعة دار النهضة العربية، بيروت 1988، و"قاموس العلوم الاجتماعية" للدكتور أحمد زكي بدوي (ص 306) طبعة مكتبة لبنان 1993م.

استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر، **وقال بأنه حصر ضابط تحديد معنى الفرقة بأربع قواعد**، وصفها بأنها الأصول الكبار، وهي:

1. الصفات والتوحيد فيها (أي البحث في مسائل الأسماء والصفات)[121].
2. القَدَر والعدل فيه، كالبحث في مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب وإرادة الخير والشر.
3. الوعد والوعيد والأسماء والأحكام كالإيمان والتوبة والوعيد والإرجاء والتضليل.
4. السمع والعقل والرسالة والإمامة والتحسين والتقبيح والصلاح والأصلح واللطف والعصمة في النبوة وشرائط الإمامة وغيرها.[122]

هذا، وإن كان رأي الشهرستاني أعلاه يدل على جدية في البحث، إلا أننا نختلف معه في هذا، وذلك لأن قوام العقيدة الإسلامية اليقين والقطع، والأدلة والمطابقة للواقع، وما كان هذا حاله فلا مجال للاختلاف فيه ولا الإفتراق على أساسه بين مخطئ ومصيب، فمن لم يصدق قطعا بقطعي الثبوت قطعي الدلالة -**إن ثبت لديه أنه قطعي**- فإنه لا يقال عنه أخطأ، بل يقال عنه كفر، ومن لم يصدق جزما بما أُمر بالقطع فيه فإنه لا يقال عنه أخطأ، بل يقال عنه كفر، ومن شك في قطعي الثبوت قطعي الدلالة فلا يقال عنه أخطأ، بل يقال عنه كفر!

وقضايا الإيمان التي وردت بالقطع في القرآن والسنة، ليست محل اختلاف، وليست بما يجهل مثله، ولا يوجد إلا منطلق واحد يسوغ الخلاف فيه، وهو ما ثبت من السنة بالتواتر سواء اللفظي أو المعنوي، وذلك لأن ما يثبت حصول التواتر به هو محل خلاف، فقد يقطع عالم بتواتر حديث أو مسألة (تواترا معنويا) ولا يقطع غيره بهذا، فمن قطع كانت تلك المسألة بالنسبة له قطعية ويبني عليها اعتقاده، ومن لم يثبت لديه التواتر لم يقطع ولم يعتقد، وما سوى ذلك فإنه ثابت بالقطع الذي لا محل للخلاف فيه.

وقد أمر الشارع بالقطع في أمور من ناحية الوجود المقابل للعدم، لا من قبل الماهية والمفهوم والمعنى، فكان الواجب القطع بالوجود، لا القطع بالمفهوم، ومثال ذلك: القطع أن الله يحيي ويميت، من باب وجود صفة الإحياء والإماتة، لا من حيث المعنى و"الكيفيات" فهذه لم نخاطب بها، وبالتالي فإن افترقت فرق على أساس **مفاهيم ومعاني هذه الصفات**، فإن خلافهم **مردود عليهم**، وإيصالهم لتلك المعاني لدرجة القطع ولم يخاطبهم الشارع بمعاني قطعية لتلك الصفات، ذلك الإيصال مردود عليهم،

وقد فصلنا في هذه المسألة في باب حرمة الإختلاف في أصول الدين، فراجعه للاستزادة.

وعليه، فإن تفرق الفرق ليس جراء مسوغ في الفهم لقضايا الصفات، والجبر والاختيار، والوعد والوعيد، فإن الإختلاف في هذه القضايا كان جراء سوء فهم، أو القطع بما لم يرد فيه قطع، سواء القطع بالوجود لما لم يقطع بوجوده، أو القطع في الدلالة فيما لم يقطع بدلالته،

---

[121] لا تكاد تبحث قضية عقائدية اختلفت فيها الفرق بين مخطئ ومصيب، إلا وتجد سوء فهم مسألة الصفات أحد أركانها التي شكلت أساسا لافتراق الفِرَق في الرأي والفهم!

[122] أبو الفتح الشهرستاني: موسوعة الملل والنحل، مؤسسة ناصر للثقافة، ط1، 1981، ص 2و 3.

لذلك فإن لنا أن نقول بأن **ضابط افتراق الفرق الوحيد هو البدعية في الفهم والخروج على السنة**! ومن ثم فإن ما أورده الشهرستاني صحيح بعد ذلك لنميز بين تلك الفرق بآرائها من تلكم القضايا المذكورة.

وقد بدأ ظهور الفرق الإسلامية منذ وقت مبكر، فكما هو معلوم فقد سارع الصحابة لمبايعة أبي بكر الصديق خليفة على المسلمين فور وفاة الرسول ﷺ وقبل دفنه[123] في إشارة فُهم منها أهمية المسارعة لسد فراغ منصب رئاسة الدولة (الإمامة الكبرى / الخلافة)، وهنا بدأت الأقوال بأحقية علي بن أبي طالب بالخلافة، وحسب الرواية الشيعية فإن جمعاً من الصحابة كان يرى أحقية علي بالخلافة من أبي بكر وعمر، وأنه يفضلهم، ولكن قبل هذا لنستمع للرواية التالية التي ترد باختصار على هذه المقولة وتبين أن علياً نفسه كان يدرك أن تولي إمرة المسلمين غير محكومة بالقرابة من الرسول ﷺ، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن علياً رضي الله عنه خرج من عند النبي ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن! كيف أصبح رسول الله؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده العباس رضي الله عنه فقال: أنت والله بعد ثلاثٍ عبد العصا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر، فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا، فقال علي رضي الله عنه: أما والله لئن سألناه فمُنعناها، لا يعطيناها الناس بعده،[124] وإني والله لا أسألها."[125]

انشغل الناس في عهد أبي بكر وعمر والفترة الأولى من عهد عثمان رضي الله عنهم جميعاً بالفتوحات ونشر الإسلام وتقوية شوكة الدولة الإسلامية وتوطيد أركانها، فنامت فكرة أفضلية علي، وحقه بالخلافة نومة طويلة، لتظهر بعد حين من الدهر لا سيما أثناء الاقتتال الذي حدث بين الصحابة واستشهاد الإمام علي سنة 40هـ = 661م

أهم الفرق الإسلامية

الخوارج

بعد استشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه [35هـ = 655م] بويع لعلي كرم الله وجهه بالخلافة، وكان ما كان في وقعة صفين [37هـ] وما حصل في قضية التحكيم، فخرجت على علي كرم الله وجهه جماعة رفضت فكرة التحكيم، وكان أكثرهم من قبيلة تميم، نفروا من أن

---

[123] ابن هشام: سيرة ابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1936م، ج4، ص 298. 316

[124] وهذا من دقة فهم الإمام علي كرم الله وجهه، فهو يعلم أن السلطان للأمة، تعطيه للخليفة بالبيعة، لذلك قال: لا يعطيناها الناس بعده.

[125] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، الحديث رقم 4182

يُحَكَّمَ أحد في كتاب الله، ورأوا أن التحكيم خطأ، لأن حكم الله في الأمر واضح وجلي، والتحكيم يعني شك كل فريق من المحاربين أيهما على حق؟ وليس يصح هذا الشك، فهم مؤمنون أن الحق بجانبهم، فانتشرت فيهم جملة: لا حكم إلا لله، وأصبحت شعاراً لهم، وطلبوا من علي كرم الله وجهه أن يقر على نفسه بالخطأ بل بالكفر، لقبول التحكيم، ويرجع عن شروطه مع معاوية، فأبى علي كرم الله وجهه، فهو لا يقر بالرجوع عن عقد والوفاء بعهد، ولو فعل لتفرق عنه أصحابه، ولا يقر على نفسه بالكفر، وهو الذي لم يشرك منذ آمن، وكانوا يقاطعونه حين يخطب بجملة: "لا حكم إلا لله"، وعرَّضوا به بأنه مشرك عمله محبط، ولما يئسوا من رجوع علي عن موقفه، اجتمعوا في منزل أحدهم، فخطب فيهم: "أما بعد، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بالحق، وإن مُنَّ وضُرَّ، فإنه من يمُنُّ ويضرُّ في هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل، والخلود في جناته، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة" ثم خرجوا إلى قرية قريبة من الكوفة تسمى "حَروراء" وسموا بالحرورية، وبالمحكِّمة أي الذين يقولون لا حكم إلى لله، وأمَّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وسماهم المسلمون بالخوراج لخروجهم على علي وصحبه، وقد اشتهروا بتكفير علي كرم الله وجهه، وتكفير كل من معاوية والحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وكل من رضي بالتحكيم، وكفروا كذلك أصحاب الجمل وعائشة وطلحة والزبير؛ رضي الله عنهم، وقد حاربهم الإمام علي رضي الله عنه في وقعة النهروان الشهيرة،[126] وهزمهم وقتل منهم كثيراً، ولم يُبِدْهُم ولم يُبِدْ فكرتهم، وبقوا شوكة مؤلمة في خاصرة الدولة الأموية وكادوا يقضون على الدولة الأموية في بعض وقائعهم وظل المهلب بن أبي صفرة يحاربهم ويعاني في قتالهم الشدائد والأهوال سنين طويلة. وما ضعفت قوتهم إلا أيام العباسيين.[127]

من أشهر أسماء الخوارج: "الحرورية والشراة والمارقة والمحكمة والنواصب، وقد ذهب بعض العلماء من الإباضية إلى تحديد الوقت الذي استعملت فيه تسمية الإباضية، وأن ذلك كان في القرن الثالث الهجري، وقبلها كانوا يسمون أنفسهم: (جماعة المسلمين)، (المؤمنون)، (جماعة المؤمنين)،(أهل الدعوة)،(أهل الاستقامة). وأما أماكنهم فيوجدون حالياً في الجزائر وتونس وليبيا وعُمان وزنجبار".[128]

وقد انقسم الخوارج إلى نحو سبع وعشرين فرقة أشهرها:

الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق، وقالوا بأن ديار مخالفيهم هي ديار كفر ومن أقام فيها فهو كافر.

---

[126] معركة النهروان: وقعت بين علي بن أبي طالب وأنصاره من جهة، وبين فريق من الخوارج بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي من جهة أخرى، وحدثت يوم 9 صفر 38هـ= 658/7/16 م. وانتصر فيها فريق علي بن أبي طالب.

[127] بتصرف عن كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين

[128] موقع: من هم الإباضية؛ دراسة عن الخوارج ومحمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل العربي 1983، ص 14

النجدات: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، وقالوا بحرمة دماء المسلمين.

الإباضية: أتباع عبد الله بن إباض، وقالوا بأن مرتكب الكبيرة هو كافر نعمة، أي أنه جاحد لنعمة الله وليس بكافر كفر شرك.

الصُّفَرية: ويُنسبون لزياد بن الأصفر، ويخالفون الفرق الأخرى من الخوارج في عدم قتل أطفال المخالفين لهم في الإعتقاد.

وأهم أفكار فرق الخوارج بشكل عام:

1. يجوز لأي مسلم تولي الإمامة الكبرى بغض النظر عن نسبه وجنسه ولونه، فهم لا يشترطون القرشية في الخليفة،[129] وأجازت فرقة الشبيبية [إتباع شبيب بن يزيد الشيباني المكنى بأبي الصحارى] من الخوارج تولي المرأة هذا المنصب.[130]
2. لا يكون الخليفة خليفةً إلا بانتخاب حر صحيح، يقوم به عامة المسلمين، لا فريق منهم، ويستمر خليفة ما دام قائماً بالعدل مقيماً للشرع، مبتعداً عن الخطأ والزيغ، فإن حاد وجب عزله أو قتله.[131]
3. وجوب الثورة على أئمة الجور والفسق والضعف.
4. يوالون خلافة أبي بكر وعمر وخلافة عثمان قبل أن "يُحْدِث" الأحداث التي جدت في السنوات الست الأخيرة في عهده. ويوالون خلافة علي حتى قبل التحكيم.
5. يتم نصب الإمام عن طريق الاختيار والبيعة، وهما تتمان من عامة المسلمين.
6. يُكفرون مرتكب الكبيرة دون أن يتوب قبل موته، ويحكمون بخلوده في النار وأنه خارج عن الملة، ولكن الأباضية قالوا: كافر نعمة ولا يخرج عن الملة
7. إتفق الخوارج على نفي "الجور" عن الله سبحانه وتعالى، بمعنى إثبات القدرة والاستطاعة المؤثرة للإنسان، ومن ثم تقرير حريته واختياره.
8. جعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً لتغيير الظلم والجور، كما جعلوا القوة [السيف] أداة أصيلة وسبيلاً رئيسياً من أدوات النهي عن المنكر وسبل التغيير للجور والفساد.[132] فقالوا بوجوب الخروج على أئمة الجور، بالإطاحة بهم بأي وسيلة يقدر عليها، بالقوة أو بغيرها.
9. صفات الله ليست زائدة على ذاته: بمعنى أن الصفات ليست شيئا " غير الذات، فهي ليست صفات قائمة بذاتها ولا منفكة عن الذات.

---

[129] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية؛ في السياسة والعقائد، ج 1، ص 71

[130] أبو منصور عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 141 وفيه أن شبيب ابن يزيد أجاز إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم، وخرجت على مخالفيهم، وزعموا أن غزالة [امرأة شبيب وقيل أمه] كانت الإمام بعد مقتله إلى أن قتلت، واستدلوا على ذلك بأن شبيباً لما دخل الكوفة أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت.

[131] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية؛ في السياسة والعقائد، ج 1، ص 71

[132] محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص16

10. إمتناع رؤية الله في الآخرة: ومعنى الرؤية عندهم كمال العلم به، ويعتقدون بعدم إمكانية رؤيته سبحانه وتعالى حسياً " بالصورة المتخيلة عند الناس.

11. القرآن حادث غير قديم: بمعنى أن القرآن مخلوق لله سبحانه، وحادث بعد أن لم يكن.

12. الشفاعة: بمعنى أن المؤمنين يدخلون الجنة بسرعة، وأما مرتكبو الكبائر من المذنبين إذا ماتوا بلا توبة فهم محكومون بالخلود في النار.

13. التولي والتبري والوقوف: فأما التولي فهو وجوب الولاية والحب لأولياء الله ومن أتصف بالإيمان، والتبري فهو وجوب البراءة من الفاسقين سواء كانوا من المشركين أو أهل كفر نعمة، وأما الوقوف فيعني التوقف بالحكم فيمن لم يعرف فيهم موجب الولاية أو البراءة.[133]

المرجئة:

إختلفت الأقوال في تعريف المرجئة، فقيل بأنهم القائلون بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومنهم من قال بأن أمر مرتكب الكبيرة يُرجأ إلى الله تعالى يوم القيامة، وقال الإمام محمد أبو زهرة بأن أصحاب هذا الرأي يتلاقون إلى حد كبير مع طائفة كبيرة من جمهور العلماء السنيين، بل إنه عند التمحيص يتبين أن آراءهم هي آراء الجمهور[134] وقال الدكتور محمد عمارة:" هذا المصطلح قد عنى في الفكر الإسلامي: الفصل بين "الإيمان" باعتباره تصديقاً قلبياً ويقينياً داخلياً غير منظور، وبين "العمل" باعتباره نشاطاً وممارسة ظاهرية قد تترجِم أو لا تترجم عمَّا في القلب من "إيمان" ومؤدى هذا الفصل: الرفض القاطع للحكم على العقائد والضمائر من قبل البشر، أياً كان مكانه أو سلطانه. فما دام العمل لا يترجِم بالضرورة عن مكنون العقيدة، فلا سبيل إذاً للحكم على المعتقدات، وما علينا إلا أن "نرجئ" الحكم على العقائد وعلى الإيمان إلى يوم الحساب، فذلك هو حينه، وتلك إحدى مهام الخالق سبحانه وتعالى وحده، وليست مهمة أحد من المخلوقين في حياتنا"[135]

يُقال بأن فكرة الإرجاء وجدت في عصر الصحابة لدى أولئك الذين اعتزلوا النزاع الذي نشب بين الصحابة أيام عثمان وعلي رضي الله عنهما مثل سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة وعبد الله بن عمر وعمران بن الحصين حيث "أرجأوا الحكم في أي الطائفتين أحق، وفوضوا أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى".[136]

ومن أشهر **فرق المرجئة**: الجهمية [إتباع الجهم بن صفوان]، والصالحية واليونسية والشمرية والثوبانية والحنفية [إتباع الإمام أبي حنيفة النعمان] وغيرها.

---

[133] موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد قاسم، ص 250 محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص133 أنظر: محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص33.

[134] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص133

[135] أنظر: محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983، ص33.

[136] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص133

يقول الدكتور محمد عمارة: "وجدير بالذكر أن واقعنا المعاصر وإن لم تقم فيه فرقة أو مذهب تتسمى باسم "المرجئة" إلا أن فكر الإرجاء لا زال حياً في ثنايا العديد من مذاهب الإسلاميين المعاصرين، وعلى الأخص في المذهب الأشعري، فالأشعرية.. كما يقول ابن حزم الأندلسي: يذهبون في هذا الموضوع مذهب "الجهمية" إتباع الجهم بن صفوان".[137]
جدير بالذكر أن هدفنا من هذا السرد ليس إقرار أو نقاش هذه الآراء وإنما توصيفها كما يراها أصحابها أو من كتب عنها.

الشيعة:

الإسم: شيعة الرجل: هم أنصاره وجماعته، والشيعة يقولون بأنهم جماعة علي بن أبي طالب وأنصاره، وأبرز فرق الشيعة هم **الجعفرية**، وسموا كذلك لانتسابهم للإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، ويُسمون كذلك بالإثني عشرية ذلك أنهم يقولون بأن عدد أئمتهم اثنا عشر إماماً، وعندما يُسمع اسم "**الشيعة**" ينصرف الذهن إلى الإمامية الجعفرية الإثني عشرية.
يمكن القول بأن "الشيعة ظهرت في بدايتها كآراء وأقوال تقول بأحقية علي بن أبي طالب بالخلافة، وحسب الشيعة فإن ممن كان يرى هذا الرأي: "العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأُبيّ بن كعب"[138] وبقي هذا الرأي دون أن يُترجِم حاملوه هذه الفكرة إلى واقع عملي، إلى أن كانت الخلافات بين المسلمين في النصف الثاني من خلافة عثمان، وبعد معركة الجمل (36هـ) و صفين (37هـ) وفي هذه الأجواء ظهرت فكرة الوصية، ولقب علي بالوصي، يريدون أن النبي ﷺ أوصى لعلي بالخلافة من بعده. ثم دخلت على هذا المذهب فكرة حصر الولاية في أبناء علي ومن ثم عِصْمَتهم، فكان الإمام السابق يقوم بالنص والتعيين على الإمام اللاحق بشرط أن يكون من سلالة علي بن أبي طالب وزوجته السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، فصارت الولاية في الحسن رضي الله عنه بعد استشهاد أبيه عام 40هـ، وبعد وفاة الحسن انتقلت الإمامة إلى الحسين رضي الله عنه، ومنه انتقلت إلى أبنائه حتى انتهى الأمر بالإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري المعروف بالمهدي والذي تقول عقائد الشيعة بأنه اختفى سنة 260هـ في غيبة صغرى استمرت قرابة السبعين عاماً، إلى عام 329هـ، ثم دخل المهدي في غيبة كبرى امتدت حتى الوقت الحاضر!).

أصول الشيعة الإمامية ومعتقداتها

---

137 محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 40

138 مرتضى العسكري: معالم المدرستين، المجلد الأول: بحوث المدرستين في الصحابة والإمامة، المجمع العلمي الإسلامي، ط 5، 1993، ص 161

حسب الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء [أحد علماء الإمامية المعاصرين 1294 .1373هـ = 1877 .1953م] فإن الدين ينحصر في خمس قضايا:

1. معرفة الخالق.

2. معرفة المبلِّغ عنه (الرسول).

3. معرفة ما تعبَّد به، والعمل به.

4. الأخذ بالفضيلة ورفض الرذيلة.

5. الإعتقاد بالمعاد والدينونة.

ويكمل الشيخ كاشف الغطاء فيقول: "فالدين علم وعمل (إن الدين عند الله الإسلام*) آل عمران 19 والإسلام والإيمان مترادفان ويُطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاثة أركان: التوحيد والنبوة والمعاد، فلو أنكر الرجل واحداً منها فليس بمسلم ولا مؤمن، وإذا دان بتوحيد الله ونبوة سيد الأنبياء محمد ﷺ واعتقد بيوم الجزاء فهو مسلم حقاً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم: دمه وماله وعِرْضه حرام".[139]

وبالتفصيل تقوم أصول الشيعة الإعتقادية في مجال الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر على ما يلي:

1. التوحيد: وهو الإعتقاد بوحدانية الله تعالى؛ وعدم اتخاذ شريك له في الربوبية واليقين بأنه المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة. وأما طاعة الأنبياء والأئمة والتبرك والتوسل إلى الله بمنزلتهم وكرامتهم عنده فهو جائز وليس من العبادة في شئ.

ومن مقتضيات التوحيد الإيمان باستحالة رؤيته جل وعلا حسياً "في الدنيا أو في الآخرة"، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن التجسيم والتشبيه. فالصفات الواردة في الكتاب والسنة كالوجه والأيدي والاستواء وأمثالها تؤول ولا تؤخذ على ظاهرها. فمثلا " الآية: (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء *) المائدة 64 تؤول على أن الله سبحانه وتعالى كريم قادر على البذل وبرئ من البخل. ومن مقتضيات التوحيد الإيمان بالعدل الرباني: بمعنى استحالة ظلم الله سبحانه وتعالى لأحد من الخلق أو فعله لشئ يستقبحه العقل السليم. ومن مقتضيات العدل الإيمان بأن الإنسان هو الخالق لأفعاله بإذن الله سبحانه وتعالى، وإلا لما كان للعبد أي دور فيها، ومن الظلم محاسبته عليها، ومعنى ذلك أن الإنسان هو مصدر أفعاله ولكن بقدرة مكتسبة من الله عز وجل، والإنسان بهذه القدرة المكتسبة مخير بفعل الحسن أو اقتراف القبيح.

2. النبوة: بمعنى أن جميع الأنبياء رسل من الله سبحانه وتعالى بعثوا لدعوة الخلق للحق، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؛ وأفضل الخلق أجمعين، وأنه معصوم من الخطأ في أمور الدين والدنيا، وأنه لم يرتكب معصية طيلة عمره الشريف قبل

---

[139] محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، قدَّم له الحجة السيد مرتضى العسكري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 3، 1397هـ 1977م ص 57

البعثة وبعدها، ومن اعتقد النبوة أو نزول كتاب لأحد بعده فهو كافر مرتد. ومن مقتضيات النبوة الإيمان بأن القرآن الكريم الموجود في أيدي المسلمين اليوم هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة.

3. المعاد: بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يعيد الخلائق بعد موتهم ويحيهم بأجسادهم وأرواحهم يوم القيامة للحساب، والإيمان بوجود الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ وغير ذلك من التفاصيل.

ويقول الشيخ آل كاشف الغطاء بأن [الشيعة الإمامية] زادوا ركناً آخر لهذه الأركان هو

4. الإعتقاد بالإمامة؛ وهنا يتم الإعتقاد بأن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيَرَة *) القصص 68 فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي ﷺ أن يقوم بها سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي؛ وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي..."[140]

وقال كاشف الغطاء بأن الإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر، فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الذي ذكرناه فهو عندهم [أي عند الإمامية] مؤمن بالمعنى الأخص، **وإذا اقتصر على تلك الأركان الأربعة فهو مسلم ومؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته وغير ذلك**، لأنه **بعدم الإعتقاد بالإمامة لا يخرج من كونه مسلماً**: معاذ الله؛ نعم يظهر أثر التدين بالإمامة في منازل القرب والكرامة يوم القيامة، أما في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء؛ وبعضهم لبعض أكفاء، وأما في الآخرة فلا شك أن المسلمين تتفاوت درجاتهم ومنازلهم حسب نياتهم وأعمالهم؛ وأمر ذلك وعلمه إلى الله سبحانه".[141]

فالإمامة منصب إلهي يختاره الله تعالى بسابق علمه بعباده كما يختار الأنبياء، وأنه سبحانه وتعالى لا يخلي الأرض من نبي أو وصي ظاهر مشهور أو غائب مستور، وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى لعلي، وعلي أوصى للحسن، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر على النحو التالي:

1. أبو الحسن؛ علي بن أبي طالب (المرتضى).
2. أبو محمد، الحسن بن علي (الزكي).
3. أبو عبد الله، الحسين بن علي (سيد الشهداء).
4. أبو محمد علي بن الحسين (زين العابدين).
5. أبو جعفر، محمد بن علي (الباقر).
6. أبو عبد الله، جعفر بن محمد (الصادق).
7. أبو إبراهيم، موسى بن جعفر (الكاظم).

[140] محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، ص 58

[141] محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، ص 59

8. أبو الحسن، علي بن موسى (الرضا).
9. أبو جعفر، محمد بن علي (الجواد).
10. أبو الحسن، علي بن محمد (الهادي).
11. أبو محمد، الحسن بن علي (العسكري).
12. أبو القاسم، محمد بن الحسن (المهدي).

ومن مقتضيات الإمامة الإيمان بعصمة الأئمة من الذنوب والأخطاء كعصمة الأنبياء وذلك لأن الإمامة تعتبر استمراراً "لوظيفة النبوة من حيث حفظ الرسالة وصيانتها من التحريف وتعليمها للناس، وبذلك فالإمام يملأ الفراغات التي يتركها النبي جميعها.[142] ولا يجوز الخطأ على الأئمة، ولا يصدر منهم إلا ما كان صواباً.

تتم الولاية الكبرى على المسلمين (الإمامة) **عن طريق النص والتعيين. وليس بالانتخاب أو البيعة**؛ ونتيجة لمفهوم الولاية والوصاية يذهب الشيعة إلى أن النبي محمداً ﷺ نص على خلافة علي، وقد اغتصبها منه أبو بكر وعمر، وتبرأوا منهما، وقدحوا في إمامتهما. [ومن هنا سماهم البعض بالرافضة]، ومنهم من غلا وتغالى فكفَّر هؤلاء الخلفاء وكفَّر من شايعهم وادعى أنهم جحدوا الوصية، ومنعوا الخلافة مستحقها. وبالتأكيد هم يرفضون شرعية الخلافة الأموية وما بعدها.

دخل على هذه الفرقة الكثير من الأفكار كالقول بالتقية والرجعة والبداء وغير ذلك، وهناك من غلاة الشيعة من زعم تحريف (أهل السنة) للقران الكريم بحذف بعض السور التي تتحدث عن إعطاء الرسول ﷺ الإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب، ومنهم من تمادى في غلوائه بسب الصحابة، ومع اعتناق الصفويين المذهب الشيعي استُحْدِثَت الكثير من المنكرات كاللطم والنياحة وضرب الإنسان نفسه بشكل دموي وتوسيع شقة الخلاف مع (أهل السنة).

تعريف السنة في أصول الفقه الشيعي: هي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو الامام، أو فعلهما أو تقريرهما على وجه"[143] "ويعتبرون الروايات المأخوذة من كتب الحديث الرئيسية الأربعة: (وهي الكافي للكليني، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، الإستبصار فيما اختلف من الأخبار للشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي أيضاً) فيها الصحيح والحسن والموثوق والضعيف وغيرها، وأنه يجب البحث في أسانيدها عند إرادة العمل بها". [144]

تقوم أصول الفقه عند الإمامية الإثني عشرية على ما يلي: القرآن، السنة، الإجماع، العقل (إن لم يكن نص)؛ ولا يأخذون بالقياس.[145] وهناك فريق من الشيعة يُسمون بالإخباريين: وهم يحرمون الاجتهاد، وسموا بالإخباريين لأنهم يقتصرون في معرفتهم للأحكام الشرعية على الأخبار أو

---

[142] موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد قاسم، ص 250

[143] الوافية في أصول الفقه للفاضل التوني

[144] موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد قاسم، ص 250

[145] محمد أبو زهرة: الإمام الصادق: حياته وعصره.آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، 1425هـ= 2005م، ص 225

الروايات الواردة عن أهل البيت، وأسقطوا الاستدلال بالمصادر الثلاثة الأخرى وهي القرآن والإجماع والعقل فهم لا يستدلون بالقرآن بذريعة أن القرآن لا يفهمه سوى أهل البيت والواجب الرجوع إلى أحاديثهم، ولا يستدلون بالإجماع لأنه عندهم بدعة أوجدها أهل السنة، وينكرون كذلك صلاحية العقل السليم ليكون حجة أو دليلا"[146]

ونتيجة لمضي مدة طويلة على [غيبة المهدي] وعدم ظهوره ظهرت فكرة إسناد مهمات الإمام الغائب. في الحكم وقيادة الأمة. لعالم مستجمع شروط العلم والاجتهاد لينوب عنه في القيام بتلك المهمات، فظهرت فكرة (ولاية الفقيه) في العصر الحديث، وتُرجمت هذه الفكرة عملياً مع وصول آية الله الخميني للحكم في إيران سنة 1978 فكان أولَ ولي فقيه على الشيعة، ثم تولى هذا المنصب بعد وفاته آية الله علي خامئني".

من المعروف أن المذهب الشيعي قد تعرض للانقسام إلى عشرات الفرق ذكر الكثير منها السيدان الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي في كتابهما "فِرق الشيعة"، ولا يكاد يمر حدث بارز في تاريخهم إلا وأعقبه انشقاق أو انشقاقات معاً. جاء في كتاب"فرق الشيعة" أن الشيعة انقسموا بعد وفاة الإمام جعفر بن محمد المعروف بالصادق على ست فرق،[147] "حتى بلغت انقساماتهم قرابة المئة إذا ما تم إدخال الفروع فيها"[148] وقال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء بأن فرق الشيعة تتجاوز المئة[149] (المقبول منها والمردود).. ولكنها في خطها العام تنقسم إلى ثلاثة تيارات هي: الإمامية الاثنا عشرية والزيدية والإسماعيلية.

يقول الشيعة بأنهم لا يرون أن كل من انتسب للتشيع سائر على خط التشيع الصحيح، يقول أسعد وحيد قاسم[150] "أن كل من وإلى الإمام علي عليه السلام وفضله على غيره فليس من الضروري أن يكون من الشيعة أو حتى من المسلمين، فقد انتسبت إلى التشيع فرق ضالة كثيرة عدها كتاب الفرق من فرق الشيعة كالمغيرية والخطابية والبزيغية والعلباوية والمخمسة وغيرها من فرق الغلاة والمفوضة، غير أن أئمة أهل البيت برؤوا منهم ولعنوهم وأفتوا بكفرهم وخروجهم عن الإسلام؛ وقد اندثر أكثر هذه الفرق مع الأيام".[151]

---

[146] موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد قاسم، ص 250

[147] الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي: فرق الشيعة، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، ط 2، 1431هـ = 2010م، ص 77

[148]: محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 199

[149] محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، ص 60

[150] أسعد وحيد القاسم ولد في فلسطين سنة 1965 م من أسرة حنفية المذهب، واتبع بعد ذلك المذهب الشيعي. حاصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية والماجستير في إدارة الإنشاءات والدكتوراه في الادارة العامة. ومن مؤلفاته أزمة الخلافة والإمامة وأثرها المعاصر وحقيقة الشيعة الاثني عشرية (موسوعة ويكيبيديا).

[151] موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد قاسم، ص 250

هذه النبذة المختصرة جداً عن الشيعة الإثني عشرية الجعفرية خلاصة قراءة الكثير مما كتبوه أو كُتب عنهم.[152]

الزيدية:

هم إتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين [زين العابدين] بن علي بن أبي طالب (79 .122هـ= 698 . 740م)، ومذهبهم أعدل مذاهب الشيعة وأقربها إلى السنة المطهرة (ومذهبهم منتشر في شمال اليمن)، وكان زيد قد تتلمذ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة، وهو يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، فقال: كان علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر وعمر، ولكن - مع هذا- إمامة أبي بكر وعمر صحيحة، ولم يكن يرى الإمامة بالنص، ولم يكن يرى أن الوحي نزل بتعيين الأئمة، وقالت الزيدية بوجوب أن يكون الإمام من البطنين، أي من أبناء علي وفاطمة، ولكن ليس على التعيين. ويصبح الإمام إماماً متى خرج على الحاكم الظالم لأخذ حقه بالقوة. ويقولون بصحة إمامة المفضول مع وجود الأفضل؛علماء المذهب الزيدي يميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بذات الله، والجبر، والاختيار، ومرتكب الكبيرة يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين كما تؤمن المعتزلة، ولكنه غير مخلد في النار، إذ يعذب فيها حتى يطهر من ذنبه ثم ينتقل إلى الجنة، وقالوا بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر مع اعتبار الإنسان حرا في طاعة الله أو عصيانه، ففصلوا بين الإرادة وبين المحبة أو الرضا، وهو رأي أهل البيت من الأئمة. والحوثيون في اليمن هم من إتباع المذهب الزيدي.

الإسماعيلية:

أثناء حياة الإمام جعفر الصادق، توفي ابنه الأكبر إسماعيل المرشح لخلافة أبيه في الإمامة، وهنا انتقلت الإمامة إلى ابنه الثاني موسى بن جعفر الشهير بالكاظم [128 .183هـ= 745 .799م] فلم يقبل بذلك بعض الشيعة، وبالتالي لم يعترفوا بإمامة الكاظم، ونادوا بانتقالها لـ"محمد المكتوم"

[152] ومنها: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، دار صادر، ط1، 2006. إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت، أحمد الكاتب: الإمام المهدي "محمد بن الحسن العسكري": حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية، الدار العربية للعلوم، ط 5، 2007م.احمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، عمان، ط1، 1997مأحمد الكاتب: في سبيل الشورى والوحدة والتجديد: حوارات أحمد مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر، الدار العربية للعلوم، ط 1، 2007م، دوايت م. روندلسن: عقيدة الشيعة، مكتبة الخانجي،روح الله الخميني: الحكومة الإسلامية، منشورات الحركة الإسلامية في إيران، عبد القاهر البغدادي: الفرق بيم الفرق، دار السلام، ط1، 2010م، عرفان عبد الحميد فتاح: نظرية ولاية الفقيه: دراسة وتحليل ونقد، دار عمار، عمان ط1، 1989م.فهمي هويدي: إيران من الداخل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط3، 1988م.محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي. محمد البنداري: التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، دار عمار، ط1، 1988م، محمد عبد الكريم عتوم: النظرية السياسية المعاصرة: الإمامة الإثني عشرية: دراسة تحليلية نقدية، دار البشير 1988م. محمد عمارة: الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، كتاب الهلال 1983 محمد عمارة: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، نهضة مصر، ط3، 2005، محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل العربي 1983، مرتضى العسكري: معالم المدرستين، المجمع العلمي الإسلامي، ط3، 1993م

ابن إسماعيل؛ ثم جرت الإمامة في نسل المكتوم، ومن هنا نشأت فرقة الاسماعيلية ، والتي لقولها بالكثير من الأفكار التي اعتبرت غير إسلامية سُميَّت أيضاً بالباطنية، ومن هذا المذهب كانت الفاطمية والمهدية في بلاد المغرب العربي والبهرة (إتباع الآغا خان) في الهند، وقد تلوثت أفكار الكثير من الإسماعيليين بأفكار هندية وفارسية وبوذيين فخرجوا من الإسلام.[153]

القدرية والجبرية والجهمية

الجبرية والقدرية والجهمية أسماء متعددة لفرق إسلامية يجمعها: نفي أن يكون الإنسان خالقاً لأفعاله، ويميز بين هذه الفرق التفاوت في الموقف الجبري، فبعضها يرى الإنسان مجبوراً جبراً مطلقاً، فهو كالريشة المعلقة في الهواء، تميلها ريح القدرة الإلهية حيث مالت.. وبعضها ينسب للإنسان "كسباً"، هو عبارة عن الرغبة في الفعل والقصد إليه، أما خالق الفعل ذاته فهو الله.. وبعضها يرى أن الإنسان "فاعل"، لكن على سبيل المجاز، والفاعل الحقيقي هو الله أيضاً.[154] وقالوا لا فعل ولا عمل لأحد غير الله، وإنما تُنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز،[155] ويُطلق المعتزلة على "الجبرية" مسمى "القدرية"، في حين يطلق "الجبرية" على المعتزلة مسمى "القدرية".[156]

بدأ المسلمون في العصر الأموي ومن ثم العباسي بالاحتكاك بالأمم الأخرى التي فتحها المسلمون، وكان عند هذه الأمم فلسفة ولاهوت، ومسائل كثيرة، فكانت بداية لظهور المتكلمين من قدرية ومن ثم معتزلة في عهد لاحق. ثم لما تسربت الفلسفة الهندية واليونانية واللاهوت إلى المسائل التي بحثها المسلمون إما للرد عليها وبيان موقف الإسلام منها، أو التفكير فيها ابتداء، ظهرت فرقة المعتزلة على يد واصل بن عطاء[157] الّذي اشتُهر بأنّه مؤسّس المذهب مع صاحبه "عمرو بن عبيد"[158]. والقدرية على يد غيلان الدمشقي، وأما معبد الجهني .أول من تكلم في القدر .[159] فقد

---

[153] أنظر: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج2، ص 59 بتصرف

[154] تيارات الفكر الإسلامي، ص 366 و 367 و 375

[155] عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشيد، القاهرة، 1413هـ= 1993، ص 135

[156] تيارات الفكر الإسلامي، ص 366 و 367 و 375

157 - واصل بن عطاء (80-131هـ)

واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة. رأس المعتزلة ومن أئمّة البلغاء والمتكلّمين. سميّ أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. وهو الّذي نشر مذهب"الاعتزال" في الآفاق. ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، فتجنّب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك. وكان ممّن بايع لمحمّد بن عبد الله بن الحسن في قيامه على "أهل الجور". له تصانيف، منها "أصناف المرجئة" و"المنزلة بين المنزلتين" و"معاني القرآن" و"طبقات أهل العلم والجهل" و"السبيل إلى معرفة الحق" و"التوبة". (الأعلام للزركلّي)، نشوء الحضارة الإسلامية للأستاذ أحمد القصص. ص 130

158 - عمرو بن عبيد (80-144هـ)

عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره،ومفتيها، وأحد الزهّاد المشهورين. اشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور وغيره. وفيه قال المنصور«كلّكم طالب صيد، غير عمرو بن عبيد». له رسائل وخطب وكتب، منها "التفسير" و"الردّ على القدريّة". توفي بمران (بقرب مكة) ورثاه المنصور، ولم يسمع بخليفة رثى مَن دونه، سواه. وفي العلماء من يراه مبتدعاً. (الزركلّي) نشوء الحضارة الإسلامية للأستاذ أحمد القصص. ص 130

قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: إنه تابعي صدوق لكنه سن سنة سيئة فكان أول من تكلم في القدر، وقتله الحجاج صبراً[160] لخروجه مع ابن الأشعث.

وقد أخذ غيلان الدمشقي القول بالقدر عن سوسن النصراني، وقد قتل هشامُ بن عبد الملك غيلانَ بعد أن استفحل أمر مذهبه، وقد روي أن عمر بن عبد العزيز بلغه أن غيلان وفلاناً نطقا في القدر، فأرسل إليهما، وقال: ما الأمر الذي تنطقان به؟ فقالا: وهو ما قال الله يا أمير المؤمنين، قال: وما قال الله؟ قال: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً *﴾ الإنسان 1 ثم قال: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً *﴾ الإنسان 3 ثم سكتا، فقال عمر: إقرأا، فقرأا حتى بلغا من نفس السورة: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله..*﴾ الإنسان 29 و 30. إلى آخر السورة، قال عمر: كيف تريان؟ تأخذان الفروع وتدعان الأصول؟ قال ابن مهاجر: ثم بلغ عمر أنهما أسرفا، فأرسل إليهما وهو مغضب، فقام عمر وكنت خلفه قائماً حتى دخلا عليه وأنا مستقبلهما، فقال لهما: ألم يكن في سابق علم الله حين أمر إبليس بالسجود ألا يسجد؟ قال: فأومأت إليهما برأسي أن قولا: نعم، وإلا فهو الذبح، فقالا: نعم، فقال: أولم يكن في سابق علم الله حين نهى آدم وحواء عن الشجرة أن يأكلا منها فألهمهما أن يأكلا منها؟ فأومأت برأسي فقالا: نعم، فأمر بإخراجهما، وأمر بالكتاب إلى سائر الأعمال بخلاف ما يقولان وأمسكا عن الكلام، فلم يلبثا إلا يسيراً حتى مرض عمر ومات ولم يفد الكتاب وسال بعد ذلك منهما السيل"[161]

وبالإضافة إلى (القدرية) كانت طائفة الجبرية، وكان أولهم الجهم بن صفوان، ولذلك يسمون أيضاً: الجهمية، كان يقول إن الإنسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة له، وإن الله قدر عليه أعمالاً لا بد أن تصدر منه، وإن الله يخلق الأفعال في الإنسان كما يخلق في الجماد، والإنسان كالريشة في

---

[159] قال معبد الجهني: لاَ قَدَرَ وَالأمر أُنُفٌ، ونقلت كلمته لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما منبتة عن السياق الذي قيلت فيه، فظهر كأنها نفي للقدر في العقيدة، في حين أن السياق كان سياق الرد على الجبرية، إذ كانوا يشيعون بين الناس أن أمرَ الحُكم من القدر، ومعلوم أن الدولة الأموية التي كانت تشيع آراء الجبرية، كانت تفعل ذلك لتبرير وصول الحكم إلى بعض أمرائها مع وجود الأفضل، على اعتبار أن ذلك من القدر، ولتبرير قضية توريث الحكم، وكانت بدعة أنكرها معبد، وكلا الأمرين يقع في دائرة التكليف لا في العقيدة، فكان رد معبد من باب بيان أن الأمر في دائرة التكليف لا من دائرة القدر، يدل على ذلك أنه قال: والأمر أنف، قال الجوهري في الصحاح: وروضة أُنُفٌ بالضم، أي لم يَرْعَها أحد، وكأسٌ أُنُفٌ: لم يُشْرَبْ بها قبلَ ذلك، انتهى، وهذا يعني أن الأمر أي الحكم أُنُفٌ، ليس بولاية عهد، بل شورى، ولا علاقة له بالقدر. قال علي سامي النشار في نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي: إن الرجل كان يدافع عن شرعية التكاليف فقط، فنفى أن يكون القدر سالبا للاختيار، فانتهى مذهبه إلى ما انتهى إليه، أي أن القدرية توسعت واختلف رأيها وخرج عن الأصل الذي دافع عنه الحسن البصري ومعبد الجهني، ويراجع كتاب مناهج الأدلة في بحث أسماء الله وصفاته للأستاذ هشام البدراني، فالشاهد هنا أهمية الاعتناء بالسياق الذي ورد فيه النص للحكم عليه، لا الدفاع أو محاكمة رأي معبد الجهني في المسألة فتلك فرقة انتهت، وآراؤها في بطون الكتب يحكم الله فيها.

[160] صَبْرُ الإِنسان على القَتْل: نَصْبُه عليه. يقال: قَتَلَه صَبْراً، وقد صَبَره عليه وقد نَهَى رسول الله، ﷺ، أَنْ تُصْبَرَ الرُّوح. لسان العرب 438/4وقال ابن الأثير في جامع الأصول :صبرت القتيل على القتل: إذا حبسته عليه لتقتله بالسيف وغيره من أنواع السلاح وسواه، وكل من قُتل أيَّ قِتلة كانت إذا لم يكن في حرب ولا على غفلة ولا غِرة فهو مقتول صبرا. اهـ(إسلام وايب؛ مركز الفتوى، جواب سؤال عن معنى القتل صبراً؛ 2009/5/2 فتوى رقم 121114).

[161] أحمد أمين: فجر الإسلام، ط9، 1964، مكتبة النهضة المصرية، ص 285

مهب الريح. وإلى جانب القول بالجبر نفت الجبرية صفات الله تعالى جملة وتفصيلا، نفت أن تكون لله تعالى صفات غير ذاته، وأن ظاهر الصفات المذكورة في القرآن مثل السميع والبصير يفضي إلى مشابهة المخلوقات، وهو مستحيل على الله تعالى، فيجب تأويل ذلك، وقال أيضاً إن القرآن مخلوق، فكانت مسألة الجبر تفضي إلى ترك العمل والتعطيل والركون للقدر، ومسألة الصفات أفضت لنفي صفات الله تعالى.[162]

المعتزلة

بعد حين من الزمان ذاب مذهب الجبرية ومذهب القدرية في غيرهما من المذاهب، وخصوصا المعتزلة، وقد وافق بعض مفكري المعتزلة القدرية في قولهم بقدرة الإنسان وفعله وانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفت المعتزلة أن الأشياء بقدر الله تعالى وقضائه، ووافق بعض مفكريِ المعتزلة الجهمية في نفي الصفات عن الله تعالى، وفي خلق القرآن، والمعتزلة لا يرضون أن يسموا لا بالقدرية ولا بالجهمية.[163]

كانت هذه الأحداث جلها في زمن الحسن البصري رحمه الله تعالى رحمة واسعة، [21 .110هـ = 642 .728م، القرن الأول .بداية الثاني للهجرة] وكان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في حلقة الحسن البصري، فاعتزلاه على أثر طرح النقاش في قضية مرتكب الكبيرة، فقد قررا أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً،[164] بل هو في منزلة بين المنزلتين، فسموا من أجل ذلك بالمعتزلة،[165] وهذا التأصيل لاسم المعتزلة بسبب اعتزال حلقة البصري ضعيف كما يرى الأستاذ أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام، وقيل بل سموا كذلك لأنهم اعتزلوا كل الأقوال المحدثة، فخالفوا القول في مرتكب الكبيرة بين رأي المرجئة التي تقول بأنه مؤمن لا يضره مع الإيمان شيء، ورأي الخوارج، الذين يكفرونه، ويبيحون دمه، وكان الحسن البصري يقول بأن مرتكب الكبيرة منافق، فاعتزل واصل هذه الآراء كلها وقال بأنه في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، قال عبد القادر البغدادي في كتاب الفرق بين الفرق: إن الحسن البصري لما طرد واصلاً من مجلسه واعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم إليه صديقه عمرو بن عبيد قال الناس يومئذ: إنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي إتباعهما بالمعتزلة.[166]

---

[162] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 286 وما بعدها (بتصرف) وأنظر أيضاً:جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، ط 1.

[163] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 287(بتصرف).

[164] أبو الفتح الشهرستاني: موسوعة الملل والنحل، ص 50

[165] أنظر: أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 288(ينفي بعض المعتزلة مقولة اعتزال حلقة الحسن البصري، وأنها بداية نشوء حركة الاعتزال، ويعيدون نشوء الاعتزال إلى ما قبل ذلك، وأن تيار الاعتزال نشأ نشأة طبيعية وهو امتداد لفهم الصحابة للإسلام (محاضرة مخطوطة للشيخ أمين نايف ذياب [أمير جماعة المعتزلة .الجدد .في الأردن] بعنوان "المعتزلة بين الأمس واليوم" وتاريخها 1992/6/7م).

[166] عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد فتحي النادي، دار السلام، ط 1، ص 43

انقسمت المعتزلة إلى عدة (فرق) تقارب العشرين فرقة، أهمها: الواصلية والهذلية والنظامية والخياطية والبشرية والمعمرية والجاحظية وغيرها[167] ولكن يجمعها ما يُسمى بالأصول الخمسة وهي:

1. التوحيد: ويعني تنزيه الله تعالى عن أي مشابهة أو مماثلة للخلق، والإيمان بأن العقل الإنساني لا يحده.[أي لا يحد الله تعالى].

2. العدل: ويعني تنزيه الله تعالى عن الظلم والعبث وفعل الشر أو الاحتياج أو المشاعر، وأن الإنسان مختار بأفعاله ولا مجال للقول بالجبر. وأهم ما يترتب على القول بالعدل ثلاثة أمور: مشكلة القدر، والجبر، والقبح في الأفعال قبل ورود الشرع. ومن أفكارهم أن التحسين والتقبيح عقليان، ولو لم يرد بهما شرع، فصفات الحسن والقبح ذاتية في الشيء.[168] ومن مقتضيات العدل القول بخلق القرآن (أي أنه محدث وليس أزلياً).

3. المنزلة بين المنزلتين: وهي أن يُحكم على مرتكب الكبيرة بالفسق، وهي منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، فقد قالت المرجئة بأنه مؤمن وقالت الخوارج بأنه كافر،[169] وحسب المعتزلة هو بعد ذلك خالد في النار، وإن يكن في درجة من العذاب دون درجة المشركين والكفار،[170] قال المرحوم الشيخ أمين نايف ذياب: "إن أصل المنزلة بين المنزلتين لا يتوجه في الدنيا نحو المنكرات الفردية السرية، وإنما يتوجه نحو العلنية؛ وعلى الخصوص يتوجه نحو السلطان وأهل الحكم حين يظهرون الفساد والظلم وسفك الدماء في أعمالهم فلا مجال لمدحهم، بل هم من أهل الذم في منزلة بين المنزلتين [الكفر أو الإيمان] وهي الفسق، وقال: ولا أظن واحداً يعلم معنى المنزلة بين المنزلتين ولا يدرك بعدها الحضاري؛ فهي الوقوف في وجه الظلم والظُّلام والإفساد والمفسدين والاستهتار والمستهترين وأعوان الظلمة ورجالهم وكل من يؤيدهم أو يناصرهم بقول أو بفعل من خلال خطاب أو كتاب أو تلفاز أو إذاعة أو صحافة أو تأييد بالفعل أو القول، ثم قال: كم نحن بحاجة ماسة لهذا الأصل لإعادة بناء حياتنا اليوم".[171]

4. الوعد والوعيد: وعد الله المؤمنين بالجنة، وتوعد الكافرين بالنار، فالوعد والوعيد صدق وعدل، وكما يقول الدكتور محمد عمارة " واضح أن لهذا الأصل من أصول المعتزلة طابعاً سياسياً، فقد كان فكر المرجئة يملي للظالمين ويمد لهم حبال الأمل في النجاة، بينما كان فكر المعتزلة يحكم عليهم بالفسق والخلود في النار، ويقرر .بهذا الأصل .صدق الوعيد لهم، واستحالة

---

[167] أبو الفتح الشهرستاني: موسوعة الملل والنحل، ص 21 وما بعدها.

[168] حول تحسين وتقبيح الأفعال، أنظر: القاضي عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة، الأصل الثاني، العدل، ابتداء من الصفحة 299 وأنظر أيضاً: عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشيد: الرياض، ص 163.

[169] أنظر: القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط 4، 2006، ص 697.

[170] محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 52 ومحمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول "في السياسة والعقائد" ص 209

[171] محاضرة مخطوطة للشيخ أمين نايف ذياب بعنوان "المعتزلة بين الأمس واليوم" وتاريخها 1992/6/7م

تخلفه، ومن ثم استحالة إفلاتهم من الخلود في النار، على حين كان فكر الخوارج يحكم بكفرهم . كفر نعمة . عند البعض . وكفر شرك بالله . عند البعض الآخر.[172]

5. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يرى المعتزلة أن وجوبهما يعرف عقلا، وذلك خلافا لجمهور المسلمين، وقد تميزت المعتزلة بجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الدين الذي لا يتم إلا به، وهذا يقتضي قيامهم ضد الحاكم الجائر في حالة توفر القدرة لذلك.

أهم كتب الأصول لديهم: كتاب المعتمد لأبي الحسين البصري، وكتاب العمد، للقاضي عبد الجبار، والمغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار.

تقوم أصول الفقه عند المعتزلة على الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، على خلافات وآراء متعددة، يصعب حصرها هنا.[173]

وقد لاقى مذهب الاعتزال رواجاً " كبيرًا " في العراق ووصل إلى بلاد بعيدة كالمغرب واليمن وخراسان وأرمينية. وانقسم المعتزلة إلى مدرستين رئيسيتين هما مدرسة البصرة ومدرسة بغداد، ولكل منهما منهجها الخاص في تحليل المسائل الإعتقادية. وتشعبت إلى فرق عديدة أشهرها الواصلية والهذلية والنظامية والجاحظية والبشرية والتمامية وغيرها كثير.

الأشاعرة

تربى الإمام أبو الحسن عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأشعري[174] على يد المعتزلة، وقد روى السبكي في طبقات الشافعية "أن أبا الحسن الأشعري قام على الاعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إماماً" وقال الحسين بن محمد العسكري: "كان الأشعري تلميذاً للجبائي[175] وكان صاحب نظر، وذا إقدام على الخصوم، وكان الجبائي صاحب تصنيف وقلم، إلا أنه لم يكن قوياً في المناظرة، فكان إذا عرضت مناظرة قال للأشعري: نب عني" ثم يبدو أن الإمام الأشعري اعتكف في بيته طويلاً، ثم أعلن عدوله عن الاعتزال، ويقال: ناظر أستاذه أبا علي الجبائي في بعض المسائل وانتصر عليه، فلما اعتكف في بيته 15 يوماً يفكر في كل ما تعلمه عن المعتزلة، قالوا: ثم خرج إلى الجامع، وصعد المنبر، وقال: يا معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت، فتكافأت

---

[172] محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 51

[173] راجع آراء المعتزلة الأصولية للدكتور علي بن سعد الضويحي

[174] الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر اسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري اليماني البصري، ولد بالبصرة سنة 260 هـ = 874م وكان أبوه من أصحاب الحديث لكنه قدر له أن يتربى في بيت شيخ المعتزلة أبي علي الجبائي وأن يتتلمذ على يده، وقد ظل على مذهب الاعتزال لا يفارقه أربعين سنة، والجبائي زوج أم أبي الحسن الأشعري، والذي أشرف على تربيته. وتوفي الأشعري سنة 324 هـ = 936م في بغداد ومن أشهر كتبه "مقالات الإسلاميين". (ويكيبيديا والأعلام للزركلي ج4 ص 263).

[175] هو محمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة 235 الموافق 849م، في مدينة جُبّى في خورستان، وتوفي في البصرة سنة 303هـ الموافق 916م. (ويكيبيديا والأعلام ج6 ص 256)

عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به"[176] ومما قاله الأشعري في خطبته تلك: "من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي، أنا فلان بن فلان، كنت قلت بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة"، ثم أعلن اعتناقه لعقائد أهل الحديث كمبدء جديد له حيث قال: "قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة أهل الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعين وزيغ الزائغين، وشك الشاكين".[177]

وقد ذكر المؤرخون رجوع الإمام أبي الحسن عن مذهب المعتزلة في مسائل الصلاح والأصلح فرفض طريقتهم وكان على رأي عبد الله بن سعيد بن كُلّاب وأبي العباس القلانسي والحارث المحاسبي من أتباع السلف وعلى طريقة السنة، قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (89/15): ((وبلغنا أن أبا الحسن تاب وصعد على منبر البصره وقال: إني كنت أقول بخلق القرآن... وإني تائب معتقد الرد على المعتزلة))، وقال ابن خلدون في المقدمة (ص 853): ((إلى أن ظهر الشيخ أبو الحسن الأشعري وناظر بعض مشايختهم- أي المعتزلة -في مسائل الصلاح والاصلح فرفض طريقتهم وكان على رأي عبد الله بن سعيد بن كُلاب وأبي العباس القلانسي والحارث المحاسبي من أتباع السلف وعلى طريقة السنة))،

رزق الإمام الأشعري بإتباع كثيرين من العلماء الأقوياء من شافعية ومالكية وأحناف، منهم أبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو بكر القفال، والجرجاني والباقلاني وابن فورك والبغدادي، والقشيري وإمام الحرمين وابن عساكر والرازي والآمدي والعز بن عبد السلام، والغزالي والشاشي، وغيرهم الكثيرون.

خالف الأشاعرةُ المعتزلةَ في الصفات، فأثبتوا لله تعالى الصفات كالعلم والقدرة والإرادة، وخالفوا المعتزلة في مفاهيم كثيرة. ومن أهم أفكار الأشاعرة: إثبات الصفات فإثبات العلم والقدرة والإرادة دلالة على صفات متميزة لأنه لا معنى لكلمة عالم إلا أن يكون ذا علم، وأن يكون القادر ذا القدرة، وهي صفات متعددة، وهذه الصفات قائمة بذاته تعالى لا هي هو ولا هي غيره، ومن أفكارهم: أن الألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة مخلوقة محدثة، والمدلول قديم أزلي، وتوسطوا بين الجبر والاختيار في مسألة القضاء والقدر،

---

[176] أنظر هذا النص المأثور عن الإمام أبي الحسن الأشعري في كتاب الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول: في السياسة والعقائد، ص 181

[177] موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد قاسم، ص 250 نقلاً عن" الفهرست لابن النديم ص 271 ومحمد أبو زهرة؛تاريخ المذاهب الإسلامية، ج 1، ص 181

وقالوا بالكسب، وفي مسألة العدل قالوا إن الله لا يُسأل عما يفعل، وإن الله ليس ملزماً في عمله بغاية."

رأينا المعتزلة يقولون بأن الله لا يمكن أن يخلف وعده أو وعيده، وهنا نرى الأشاعرة "أجازوا أن يخلف الله وعده إجازة عقلية لا شرعية".[178]

ردد الشيخ محمد أبو زهرة قول الشيخ محمد زاهد الكوثري بأنه "يكاد الباحث يقرر أن الإشاعرة في خط بين الاعتزال وأهل الفقه والحديث"[179]

قال القشيري في أبي الحسن "بسم الله الرحمن الرحيم، اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث،[180] ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين سيفا مسلولاً".

الماتوريدية

عاش أبو موسى الأشعري وأبو منصور الماتوريدي في القرن الثالث الهجري، وفي هذا الوقت ظهرت الماتريدية،[181] وقيل بأن "الآراء التي أُثرت عن الإمام أبي حنيفة والآراء التي قررها أبو منصور الماتوريدي في كتبه؛ أنها متلاقية في جملة أصولها، ولذلك .وكما يقول الإمام محمد أبو زهرة .قرر العلماء أن آراء أبي حنيفة في العقائد هي الأصل الذي تفرعت عنه آراء الماتوريدي.[182] والماتوريدية قريبة الشبه بالأشعرية، سوى في بعض الفروقات، منها أن الأشاعرة يعتبرون .مثلاً . معرفة الله واجبة بالشرع؛ بينما الماتوريدية .إتباعاً لمنهج أبي حنيفة .يعتبرونها مدركة الوجوب بالعقل. ويقول الماتوريدي " مع أن العقل يمكن أن يستقل بمعرفة الله تعالى، لكنه لا يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية، وذلك هو رأي أبي حنيفة" والأشاعرة لا يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل من غير أمر الشارع، والماتوريدية يقررون أن الأشياء لها حُسْنٌ ذاتي يدركه العقل أيضاً.[183] سبق أن قرأنا قول أبي زهرة الذي ينقله عن الشيخ الكوثري من أن الأشاعرة يقفون بين

---

[178] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 204

[179] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 199

[180] وفي هذا القول نظر، فهو - رحمه الله تعالى- من أئمة المتكلمين، أي علم أصول الدين، ولم نعرف عنه أنه من أصحاب الحديث؟

[181] الماتوريدية: يُنسب المذهب الماتريدي إلى الإمام محمد بن محمد أبي منصور الماتريدي الحنفي، المتوفى عام 333هـ - 944م، والماتوريدية قريبة من الأشعرية؛ وعقائد أبي منصور هي عقائد أبي حنيفة النعمان، أنظر: محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 195 - 210.ومجلة عالم الفكر (المجلد 11، ع1؛ إبريل - يونيو 1980) بحث بعنوان الإمام أبو منصور الماتريدي للدكتور فتح الله خليف، ص 233.

[182] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 196

[183] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 199

المعتزلة وأهل الحديث، وهنا سنسمعه يقول بأن الماتوريدية يقفون موقفاً بين الأشاعرة والمعتزلة".[184]

سبق أن رأينا المعتزلة يقولون بأن الله لا يمكن أن يخلف وعده أو وعيده، ورأينا الأشاعرة " أجازوا أن يخلف الله وعده إجازة عقلية لا شرعية"، وكان الماتوريدية قد وافقوا المعتزلة في ذلك،" فمنعوا ذلك لأنه سبحانه وتعالى وعد بمقتضى حكمه، وقد قال تعالى (إن الله لا يخلف الميعاد *) آل عمران 9 وعلى ذلك فلا خلاف لا في الوعد ولا في الوعيد".[185] وفي موضوع الصفات أثبت الماتوريدي صفات الله تعالى وفق الأشاعرة وعلى خلاف المعتزلة الذين نفوا الصفات؛ ولكنه قال بأن الصفات ليست شيئاً غير الذات، فهي ليست صفات قائمة بذاتها ولا منفكة عن الذات، فليس لها كينونة مستقلة عن الذات حتى يقال إن تعددها يؤدي إلى تعدد القدماء".[186]

وكذلك خالف الماتوريدي المعتزلة في مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة، على أساس أن الرؤية من أحوال يوم القيامة وبالتالي هي مختصة بعلم الله تعالى بكيفها وأحوالها.[187]وكذلك خالف الماتوريدي الخوارج والمعتزلة في موضوع مرتكب الكبيرة، فهو يرى أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار ولو مات من غير توبة".[188]

يقول أحمد اللهيبي: « إن الناظر في معتقد الماتريدية ومعتقد الأشاعرة يجد بينهما تقاربا كبيرا، وهذا التقارب هو الذي أوجد الاتفاق والائتلاف بينهما، حتى صار كل منهم يطلق اسم أهل السنة والجماعة على الطائفتين.. والذي يظهر لي- والله تعالى أعلم بالصواب- أن الماتريدية انبثقت من الكلابية كما أن الأشعرية كذلك. والدليل على هذا أن أهم ما تتميز به الماتريدية هو القول بأزلية التكوين، وهذا قد قالت به الكلابية من قبل ظهور الماتريدية، كما أن المذهب الكلابي كان منتشرا في بلاد ما وراء النهر، وهي البلاد التي عاش وتوفي فيها الماتريدي..[ويضيف] فعلى هذا لابد أن يكون الماتريدي قد أخذ عن شيوخه من الكلابية وتأثر بهم، وبهذا يتضح السر في التقارب بين الأشاعرة والماتريدية، والله تعالى أعلم بالصواب»[189]

---

[184] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 199و201

[185] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 204

[186] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 206

[187] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 208

[188] محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، ص 209

[189] "الماتريدية: دراسة وتقويما-أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، عن (ذكر مسائل الخلاف فيما بين الماتريدية والأشاعرة) مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات.

أهم الفرق والمذاهب والطوائف الباطنية (الخارجة على الإسلام)

سنتناول الآن (وبإيجاز) أهم الطوائف والمذاهب والفرق التي عدها علماء الإسلام خارجة على الإسلام بسبب تبنيها أفكاراص ومعتقدات خرجت عن أصول الإسلام وأركانه المعروفة، وأولى هذه الفرق هي الإسماعيلية لأن بقية الفرق الباطنية قد خرجت من رحمها:

الإسماعيلية:

بعد وفاة الإمام جعفر الصادق عام 756م؛ كُرّست الإسماعيلية كجماعة شيعية مستقلة بإتباعهم إسماعيل بن جعفر، لتصبح سلسلة مستقلة من الأئمة من ذرية إسماعيل بن جعفر؛ وادعت الفرقة الإسماعيلية أن إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق قد نص على إمامة ابنه إسماعيل، إلا أنه مات في حياة أبيه وخلّف ولداً يدعى محمد بن إسماعيل لم ينص الإمام جعفر على إمامته، ونص على إمامة ولده موسى الكاظم ومنذ ذلك الحين أعلن رجالات الإسماعيلية مخالفتهم، وقالوا: إن الإمام محمد هو ابن إسماعيل وإن انتقال الإمامة إلى موسى الكاظم خلاف عمل مذهب التشيع.

بعد انشقاق هذه الفرقة عن الشيعة الإمامية عاش أبناء الطائفة أكثر من قرن ونصف في تقية وسرية تامة وتحت مطاردة ورقابة السلطات العباسية. وقد تخفى أئمة هذا المذهب حتى عن أقرب المقربين لهم، وكانوا يلقبون إمامهم بالإمام المستور.

انتشرت الدعوة في اليمن، وفيها تم إنشاء أول دولة لهم، اتخذ زعماء الحركة الإسماعيلية من سُلمية في سوريا مركزاً للدعوة ونجحت دعوتهم فيها نجاحاً كبيراً، وكذلك في البصرة والكوفة من العراق، ثم في مصر وشمال إفريقية وبلاد الهند، واستمرت دولتهم في اليمن خمسة قرون حتى انتقال مركز دعوتهم إلى كوجارت واستطاع دعاة الفرقة النفوذ إلى صقلية وتاهرت. وتنتشر الإسماعيلية في الوقت المعاصر في سوريا وبعض دول آسيا الوسطى حيث يمتد الإسماعيليون في جبال باmir وهندوكوش، والتي تشمل اليوم ستة بلدان: أفغانستان والصين والهند وباكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان والبنجاب والسند.

في القرن العاشر الميلادي استقر إمام الإسماعيلية "عبيدالله المهدي" في تونس وأسس فيها الدولة العُبيدية الفاطمية. وتمكن من بعده خلفاؤه من ضم شمال إفريقيا ومن ضمنها مصر وجزءاً من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وصقلية وجنوب إيطاليا، وانتقلت عاصمة الدولة الفاطمية إلى العاصمة الجديدة "القاهرة".

وفي عهد الفاطميين تبلور المذهب الإسماعيلي في القاهرة واكتسب صفاته المميزة واكتمل بناؤه العقيدي. وحسب المذهب الإسماعيلي كان الخليفة الفاطمي الإمام هو الشخص الذي تجتمع له السلطتان الدينية والدنيوية للمرة الأولى منذ خلافة علي.

وتقوم مرتكزات العقيدة الإسماعيلية ـ بشكل عام ـ على ما يلي:

1. يتفق الإسماعيليون مع عموم المسلمين في وحدانية الله ونبوة محمد ﷺ ونزول القرآن الكريم عليه.

2. نفَوْا جميع الصفات عنه سبحانه وتعالى؛ لأن كل صفة وموصوف مخلوق، بل ذهبوا إلى نفي التسمية عنه وأنه لا موجود ولا غير موجود، لأن الله ـ في نظرهم ـ فوق متناول العقل؛ فهو لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفي المطلق فهو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم وليس بالمحدث فالقديم أمره وكلمته والحديث خلقه وفطرته.[190]

3. إن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً وإنما أبدع العقل الكلي بعمل من أعمال الإرادة، وهو (الأمر)، وإن العقل الكلي محل لجميع الصفات الإلهية، وهو عندهم الإله ممثلاً في مظاهره الخارجية.

4. إن النبي ﷺ انقطعت عنه الرسالة في اليوم الذي أمر فيه بنصب الإمام علي بن أبي طالب للناس بغدير خم.

5. الوحي ما قبلته نفس الرسول ﷺ من العقل، وقَبِلَهُ العقل من أمر باريه ولم يخالفه علم تؤالفه النفس الناطقة بقواها.

6. التمسك بجميع ما ورد في الشريعة الإسلامية من صلاة وحج وصوم وغيرها، وفيه يجسد إمامُ الزمان الحقيقةَ المطلقة.

7. يؤمنون بالقرآن الكريم وأنه مصدر التشريع الأول والكتاب الإلهي الوحيد الذي يعتبر الخارج عنه كافرا ومرتدا عن الإسلام، ومنه تنبثق كل العقائد الإسماعيلية الأساسية، وهو يحتوي على طبقات للمعرفة البشرية.

8. للقرآن ظاهر وباطن، ولكنهم يختلفون مع سائر المسلمين بقولهم بأن القرآن يحمل تأويلا باطنا غير تأويله الظاهر؛ لذلك نعتهم مناوءوهم من السنة وكذلك بعض من الشيعة الاثني عشرية بالباطنية. ويقولون بأن هذا التفسير لا يمكن معرفته إلا للعلماء المختارين الأئمة، وأن الظاهر هو ما ظهر من معاني القرآن والكلام الحرفي الذي يكون فهمه واضحاً للجميع، وهو أيضاً ما تخطه الكلمات الإلهية كأوامر للبشر، ويمكن للجميع ملاحظته. وأما الباطن فهو المعاني والحقائق الخفية الموجودة وراء الكلمات الإلهية في القرآن والكتب السماوية والتي لا يدركها إلا الأئمة العالمون، وهي تخفي حقائق الوجود المستورة خلف هذه الكلمات الإلهية، وتخفى على كل الناس ولا يمكن رؤيتها إلا بإذن الله. ويقولون بإن الاعتماد على الظاهر دون الباطن مخالف لروح العقيدة الإسماعيلية.

---

[190] موسوعة ويكيبيديا.

9. البعث هو يوم القيامة الذي يتم فيه محاسبة البشرية على أخطائها ومعاصيها وجرائمها. الجنة رمز إلى حالة النفس التي حصلت العلم الكامل ويرمز إلى الجحيم بحالة الجهالة. إن الله تعالي لم يحكم على نفس قط بالجحيم الأبدي، ولكن النفس تعود إلى الأرض ثانية بالتناسخ إلى أن تعرف الإمام الموجود في العصر الذي عادت فيه وتأخذ عنه المعارف الدينية

10. في مفهوم الإمامة: الإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته، والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبقه من الأئمة، وتشترك الإسماعيلية مع الاثني عشرية بمفهوم الأئمة المنحدرين من نبي الإسلام محمد ﷺ وابنته فاطمة، ولكن انشق الإسماعيليون عن جمهور الشيعة الاثني عشرية عند الإمام السادس (جعفر الصادق) ومن سيخلفه من أبنائه. فجنح الإسماعيليون مع ابن جعفر الصادق الأكبر "إسماعيل" بينما تبنى الاثنا عشريون ابنه الأصغر "موسى الكاظم". تنطلق الإمامة من الإمام علي بن أبي طالب ولا تتوقف عند الإسماعيليين، بل يعتبرون أن هناك إماماً لكل زمان وعصر، وهذا الإمام تتوافر فيه مواصفات العدل والزهد والشجاعة والحكمة والصدق؛ ولذلك يجب طاعته في كل أوامره.

11. ضرورة وجود الإمام المعصوم المنصوص عليه من نسل الإمام علي بن أبي طالب، والنص على الإمام يجب أن يكون من الإمام الذي سبقه؛ بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب أي ينص الإمام الأب على إمامة أحد أبنائه.

12. يعد الإمام المظهر الأول والمثل الأعلى، وللأئمة درجات ومقامات، ولهم صلاحيات محدودة لا يتجاوزونها وهي: الإمام المقيم والإمام الأساس والإمام المستقر والإمام المستودع.

13. إن الأرض لا تخلو من إمام حي قائم، إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهراً يجوز أن تكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستوراً لا بد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين.

14. الولاية تعتبر الولاية مفهوماً سياسياً وقيادياً كالرئيس أو الملك أو السلطان، تجب طاعة الوالي أو الإمام على الحق، والثورة عليه وخلعه في حال كان ظالماً أو معتدياً أو متخاذلاً، ولا يصح قيام دولة إسلامية أو قيام جماعة تتخذ الإسلام دينا لها إلا بوجود ولي قائد مسئول عن مصالح هذه الجماعة كبرت أم صغرت.

15. الداعي المطلق صلة الوصل ما بين التلامذة والإمام والذي يمرر المعلومات السرية بينهم.

16. اعتقد فرع منهم بأن أدوار الإمامة سبعة وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة، أما الإسماعيلية التعليمية- وهي فرع آخر- فبدأ مذهبهم بإبطال الرأي وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم.

17. يقولون بتناسخ الأرواح.

18. ينبغي أن يكون المرشد قد بلغ حد الأربعين ولا يجوز لمن هو دون ذلك أن يفاتح أو يسلم إلى أحد المواعظ والإرشادات والهداية.

19. أعلن الحاكم بأمر الله سنة (411 هـ) بأن الجسد الإلهي قد حلَّ فيه (أي في الحاكم) ثم اختفى وربما مات مقتولاٍ، فانفصلت الطائفة الدرزية عن بقية الإسماعيلية لاعتقادهم بأنه لم يمت وأنه سيعود فهو الإمام المنتظر عند هذه الطائفة.

20. يعد العقل عند الطائفة الإسماعيلية هو عامل التشريع الدنيوي الأساسي، فَإِنْ تعارض نص في الحديث النبوي أو القرآن الكريم مع مقتضيات العصر وتحدياته الطارئة، وَجَبَ التعديل ضمن تشريع قانوني بما يلائم المصالح الطارئة للمجتمع، مع عدم المساس بالجوهر التشريعي للنص القرآني أو النبوي، والتأكيد أن النص القرآني أو النبوي هو الأساس، والتعديل الذي يتم إنما يتم ضمن قانون خاص يمكن تعديله لاحقا في حال تغير الظروف.

21. الإيمان بظهور المهدي: وقالواعلى رأس الثلاثمائة تطلع الشمس من مغربها، وأوّلوا هذا بخروج المهدي، وقالوا: يكون بين محمد بن إسماعيل وظهور المهدي ثلاثة أئمة من أهل الستر.

22. الدعوة السرية وهذه الدعوة تنطوي على تعاليم تدريجية يتلقنها مريدو الاندماج في الجماعة على مراتب متتالية، وتبدأ هذه المراحل بدراسة دقيقة لنفسية من يراد دعوته.

تعد طائفة الإسماعيلية من أكثر الفرق والمذاهب التي تعرضت للتفكك والتقسيم؛ ولذلك نجد أكثر من فرقة للطائفة منها.

المستعلية "البهرة" وينقسمون إلى : أ- البهرة السليمانيين أو المكارمة ب- البهرة العلويون، السبعية، القرامطة،الدروز الموحدون، المباركيون والأغا خانية والداودية والسليمانية والعلوية.

من أشهر الشخصيات الإسماعيلية: ناصر خسرو، وابن سينا، والفارابي، وحسن الصباح، بالإضافة إلى أئمة الإسماعيلية المعاصرين أمثال: وأغا خان الأول وأغا خان الثاني. والأغا خان الثالث رئيس عصبة الأمم في الثلاثينيات، وابنه أغا خان الرابع سفير باكستان في الأمم المتحدة، واختير ابنه صدر الدين مفوضًا ساميًا لشئون اللاجئين في الأمم المتحدة، وإسماعيل أغا خان، أمير الطائفة الإسماعيلية الراحل ووالد الأمير الحالي، ويعتبر أغا خان الرابع الزعيم الروحي للإسماعيليين في العالم ويزعم أن نسبه يعود إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام عبر صهره الإمام علي بن أبي طالب زوج فاطمة رضي الله عنها. وهو الإمام التاسع والأربعون للإماميين الإسماعيليين بالوراثة. ومن زعمائهم أول رئيس للباكستان محمد علي جناح.

الدروز

الديانة الدرزية: تُعتبر امتداداً للمذهب الإسماعيلي المنفصل عن الشيعة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، وتكونت في مصر بين عامي 996 و 1021م، ومؤسسها محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بأنوشتكين، الذي لقب بالدرزي نسبة إلى (أولاد درزة) أي صانعي الثياب، ونادى معه بها حمزة بن علي؛

بدأت الدرزية كتيار فكري في المذهب الإسماعيلي متأثرة بالفلسفة اليونانية والغنوصية، نابذة بعض العقائد التي كانت سائدة في ذلك الوقت. وقد تأسس على يد حمزة بن علي بن أحمد الذي كان متصوفا وفقيها إسماعيليا فارسيا، وعندما قَدِمَ إلى مصر وبدأ يدعو إلى مذهبه نال تأييد الإمام السادس عشر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمرالله، ولاحقا أصبح الحاكم ذاته شخصية محورية في فكر الموحدين، وبعد اختفاء الحاكم بأمر الله أعلن الداعي بهاء السموقي انتهاء فترة الإمامة وإغلاق الدعوة.

وبالرغم من أن الحاكم قد أعدم الرجل الذي نُسبت إليه العقيدة وهو أنوشتكين الدرازي بسبب غُلوّه، وبالرغم من أن الدروز ذواتهم يعدونه مهرطقا، غير أنهم ظلوا يُنسبون إليه، وإن كانوا هم يسمون أنفسهم الموحدين.

لاحقا تطورت عقيدة الدروز على نحو يختلف عن باقي الفرق الإسماعيلية والإسلامية عموما بحيث أصبح من المختلف عليه بين مقارني الأديان؛ كون الدرزية تنضوي تحت الإسلام أم أنها خرجت عنه لتصبح دينا مستقلا.

وأهم مبادئ المذهب الدرزي:

1. أسرارها معروفة لدى (طبقة العُقّال) منهم فقط، وهم شيوخ الطائفة المتعلمين، وكتبهم المقدسة تعرف باسم "رسائل الحكمة" وتحتوي 111 رسالة، الإيمان بإله واحد، الإيمان بتناسخ الأرواح.
2. التقمص والتناسخ: بمعنى أن الإنسان إذا انتهت حياته وصعدت روحه فإنها لا تذهب إلى الحياة البرزخية المعترف بها عند المذاهب الإسلامية، ولكنها تتقمص مولوداً جديداً. (يقول بعض الدروز إن فكرة التقمص والتناسخ هي اجتهاد ورؤية لبعض علمائهم، وأن من ينكر التناسخ والتقمص لا يخرج من الملة).
3. - النطق: النطق هو أن الروح حين تنتقل من جسد إلى جسد تحمل معلومات عن دورها في الجيل السابق، يعني في الجسم الذي كانت تتقمصه قبل قميصها الحالي، وفي هذه الحالة تتحدث أو تنطق بما تذكره من وقائع عن حياتها السابقة.
4. - الثواب والعقاب: يكون الثواب والجزاء بمقدار ما تكتسب النفس من المعرفة والعقيدة في أدوار تقمصها المتعاقبة، وانتقالها من جسد إلى جسد.
5. يوم الدين: يوم الحساب في العقيدة الدرزية ليس يوم قيامة، إذ ليس فيه موت للأرواح ولا قيامة لها ولا بعث ولا نشور، فالأرواح لا تموت لتبعث ولا تنام لتوقظ، بل إن يوم الحساب أو الدينونة نهاية مراحل الأرواح وتطورها، إذ يبلغ التوحيد- حسب العقيدة الدرزية- غايته من الانتصار على العقائد الشركية، وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المادية لتتصل الأرواح الصالحة بالعقل الكلي كل على قدر تكاملها. هذا هو يوم الحساب في العقيدة الدرزية فهو نهاية النهايات، أما العقاب فهو العذاب عن التقصير في الوصول إلى هذه الدرجات وتلك المراتب والغايات.

6. إنكارهم التكاليف: بينها عنهم الدكتور محمد كامل حسين بقوله: (واتخذوا لهم فرائض أطلقوا عليها الفرائض التوحيدية، وهي معرفة الباري (أي الحاكم، المقصود الحاكم بأمره) وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء.. ثم معرفة الإمام قائم الزمان وهو حمزة بن علي بن أحمد وتمييزه عن سائر الحدود (أي كبار دعاتهم)، ووجوب طاعته طاعة تامة، ثم معرفة الحدود بأسمائهم وألقابهم ومراتبهم ووجوب طاعتهم، فإذا اعترف الإنسان بهذه الفرائض التوحيدية الثلاثة أصبح موحدا، وليس عليه أن يقوم بتكاليف أي فريضة من الفرائض..) ومعنى هذا أن شريعة الدروز تتلخص في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية».

7. بناء على ذلك ينكرون تعدد الزواجات وفريضة الحج

8. وهي ديانة مغلقة لا يمكن الدخول إليها (منذ عام 1043م) وبالتالي يُحظر الزواج المختلط (بين أفراد هذه الديانة وإتباع الديانات والمذاهب الأخرى)[191]

من أشهر رموزهم في العصر الحديث الأمير شكيب أرسلان الذي انتقل للمذهب (السني)، ومنهم كمال جنبلاط وابنه وليد، والأمير طلال أرسلان، وسلطان باشا الأطرش، وغيرهم.

ملاحظة: اعترفت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر بالمذهب الدرزي على اعتبار أنه مذهب إسلامي.

أهل السنة والجماعة:

بعد البحث في أهم وأشهر الفرق الإسلامية رأينا أن تلك الفرق تتمايز عن غيرها بتبنيها بعض الأفكار والتفسيرات العقدية والكلامية، وأنها تجتمع حول آراء وأقوال أشخاص محددين هم زعماء هذه الفرق، وبناء على ذلك قلنا: هذه طائفة الشيعة، أو فرقة الخوارج أوالمرجئة أوالمعتزلة، فهل كذلك الأمر مع ما يُسمى بـ(أهل السنة والجماعة)؟ وممَّ يتكون مسمى (أهل السنة والجماعة)؟

يقول الأستاذ أحمد أمين في كتاب ظهر الإسلام، "والسُنَّة في أهل السُنَّة تحتمل أحد معنيين: إما أن تكون السُنَّة بمعنى الطريقة، أي أن أهل السُنِّة اتبعوا طريقة الصحابة والتابعين في تسليمهم بالمتشابهات من غير خوض دقيق في معانيها، بل تركوا علمها إلى الله، وإما أن تكون السُنَّةُ بمعنى

---

[191] تكاد تكون كتبهم سرية ولا يُسمح لغيرهم بالاطلاع عليها، ومن أهم الكتب التي كُتبت عنهم كتاب الدكتور محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: (عقائدها وحكم الإسلام فيها مكتبة الأقصى/الأردن-الطبعة الأولى 1994)، وله أيضاً:" عقيدة الدروز"هذا الكتاب في الأصل رسالة أعدت من المؤلف لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، كذلك بحث" مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، بحث بعنوان " طائفة "الدروز" (المنشأ والإعتقاد) إعداد الباحث: منتصر الخطيب. وكتاب "طائفة الدروز: تاريخها وعقائدها" للدكتور محمد كامل حسين. وبوابة الحركات الإسلامية، الطائفة الإسماعيلية (الشيعة الباطنية).

الحديث أي أنهم يؤمنون بصحيح الحديث، ويقرونه من غير تحرز كثير، وتأويل كثير كما يفعل المعتزلة".[192]

تبين لنا من دراسة الأحاديث أن لفظ (الجماعة) لا يطلق إلا على انضواء المسلمين تحت راية إمام يعطونه البيعة، ويمنحونه بها السلطان الذي أعطاهم الله إياه، على أن يحكم فيهم بشرع الله تعالى، فحين يوجد الإمام توجد الجماعة، وحين توجد الجماعة، تعطي الإمام البيعة فيغدو إماماً، فهما كلٌ لا ينفك، **فلذلك لا يصح بحال أن تتسمى طائفة أو فرقة من الأمة دون غيرها بوصف الجماعة**، فلا يصح وصف الأشاعرة بأهل الجماعة، ولا وصف السلفيين أنفسَهم بأنهم أهل الجماعة، ولا وصف أهل الحديث بأنهم أهل الجماعة، **فأهل الجماعة هم جمهور الأمة الإسلامية حين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية التي تحكمهم بالشرع**.

نشأة مصطلح "أهل السنة" وتاريخ إطلاقه:

يُرجع البعض تاريخ إطلاق هذا اللفظ إلى صدر الإسلام، إلى القرون المفضلة. فقد أخرج اللالكائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ *) آل عمران: 106؛ "فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة" وقد سبق وبينا ضعف هذه الرواية، ومخالفتها لنص القرآن الذي بين من الذين تبيض وجوههم ومن تسود وجوههم،

وجاء في صحيح مسلم أن أول من استعمل هذا المصطلح هو محمد بن سيرين، إذ قال: "كانوا لا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم، فيُنْظر إلى أهل السنة فيُؤخذ حديثهم، ويُنْظر إلى أهل البدعة فيُردّ حديثهم"[193]

ثم وردت روايات **فيها نظر**، ورد فيها استعمال هذا اللفظ وإطلاقه عن كثير من أئمة السلف رحمة الله عليهم، ابتداء من عصر التابعين وتابعيهم، منهم: الفضيل بن عياض "ت 187هـ"، سفيان الثوري "ت 161هـ"، أيوب السختياني (131-68هـ)، الإمام أحمد بن حنبل "164 – 241هـ"، الإمام ابن جرير الطبري "ت 310هـ"، أبو عبيد القاسم بن سلام "157-224هـ"، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي "239 – 321هـ".

فممن ورد عنه ذلك: أيوب السختياني؛ فقد أخرج اللالكائي عنه أنه قال: "إني أُخبَر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي" وقال أيضاً: "إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة" وقال سفيان الثوري "استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم

---

[192] أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ج 4، ص 789

[193] مقدمة صحيح مسلم، باب (5) بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب" [الكتب الستة، مقدمة صحيح مسلم، ص 745].

غرباء". وقال: "ما أقل أهل السنة والجماعة" وفي المشيخة البغدادية سُئل أَبو حَنِيفَةَ، مَنْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؟ فَقَالَ: مَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَحَبَّ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَلَمْ يُحَرِّمْ نَبِيذَ الْأَوْعِيَةِ، وَحَرَّمَ السُّكْرَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَرَأَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَاتَّبَعَ الْإِسْلامَ وَلَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَلَمْ يَنْطِقْ فِي اللَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ، وَطَابَ مَطْعَمُهُ وَلَزِمَ الْفَرَائِضَ، وَاجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ".

ملاحظة أولية: من الأمور التي تجعلنا **لا نطمئن إلى هذه الأقوال** وأخذها مسلمات وأنها توضع في موضعها غير المناسب؛ يُلاحظ .مثلاً .اعتبار من "لم يحرم نبيذ الأوعية" هو من أهل السنة؛ **وهو رأي خاص بالأحناف**، وكذلك اشتراطه قبول حكم المسح على الخفين، وهو حكم شرعي محض، فهل سيكون من اجتهد وقال بعدم المسح على الخفين **خارج أهل السنة والجماعة**؟ ولن يكون من الفرقة الناجية، وسيكون من الفرق التي ستدخل النار؟ "فقد أنكر الزيدية والإباضية والخوارج مشروعية المسح على الخفين، بينما اشترط الإمامية لجواز المسح على الخفين وجود الضرورة عند الخوف والتقية"[194] وجاء عن المالكية رواية بعدم جواز المسح على الخفين مطلقاً ذكرها ابن رشد في كتابه بداية المجتهد"[195] ويبدو أن **من نسب هذا القول لأبي حنيفة أراد أن يدخل من يشاء إلى مفهوم أهل السنة ويقصي من يشاء.**

بالعودة لتلك النصوص التي فيها إشارة لمسمى (أهل السنة والجماعة) سيجد المدقق في أقوالهم . على افتراض ثبوتها .**أنهم يقصدون الأشخاص الذين ارتضوا بخلافة الخليفتين الأولين، أو الذين تبنوا أحكاماً شرعية معينة، أو الذين اشتغلوا بعلوم الحديث الشريف والسنة.**

مع بروز الفرق الإسلامية الأخرى كحركات (كلامية) أو ذات مواقف سياسية وفقهية معينة (مثل حكم مرتكب الكبيرة) بدأ تمايز أصحاب الحديث والمشتغلين به كفرقة متميزة أيضاً على نحو ما رأينا في كتاب الطحاوي في العقيدة [الذي اشتُهِر بالعقيدة الطحاوية] والذي قال في مقدمته "... هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة..." ويقول د. علي سامي النشار من الأشاعرة المعاصرين: "... **لقد شهد القرن الثالث حركة كلامية كبرى حمل لواءها "أهل الحديث"**... ثم ذكر كتب: خلق أفعال العباد، والإختلاف في اللفظ، وكتب الدارمي، قال: وتبين هذه الكتب ظهور الاتجاه الكلامي لدى أصحاب الحديث، وأن أصحاب الحديث وجدوا كفرقة مقابلة للجهمية وللمعتزلة، وللخوارج، وأنهم سموا باسم "أهل الحديث وأهل السنة" ويقول الأستاذ أحمد أمين: "واسم "أهل السنة" كان يطلق على جماعة من قبل الأشعري والماتريدي، وقد حكى لنا أن جماعة كان يطلق عليها أهل السنة، وكانت تناهض المعتزلة قبل الأشعري. ولما جاء الأشعري وتعلم على

---

[194] أنظر: وهبه الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ج 1، ص 406

[195] ابن رشد، بداية المجتهد، ج 1، ص 14، نقلاً عن شبكة الشيعة العالمية، فقهيات بين السنة والشيعة، عاطف سلام، ص 33

المعتزلة اطلع أيضاً على مذاهب أهل السنة، وتردد كثيراً في أي الفريقين أصح، ثم أعلن انضمامه إلى أهل السنة وخروجه على المعتزلة".[196]

لنستمع إلى رواية شيعية حول أصل هذه التسمية، يقول أسعد وحيد قاسم في كتابه "أزمة الخلافة والإمامة" يمكن اعتبار أن ولادة فرقة "أهل السنة" كانت في السقيفة وإن لم يظهر من معالمها المميزة آنذاك سوى الخط السياسي، حيث كان يعرف الإتباع من تأييدهم لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ثم نما وترعرع هذا الخط في عهد الأمويين بحيث كانت تظهر السلطة الحاكمة كممثل ومدافع عن خلافة الثلاثة. وأما من ناحية العقائد والأحكام، فقد كان ظهور أهل السنة والجماعة كفرقة إسلامية لها عقائدها المميزة ومدرستها الفكرية والفقهية المستقلة والواضحة المعالم على يد جماعة أهل الحديث في أواخر العصر الأموي، ثم تبلورت ونضجت زمن الإمام أحمد بن حنبل في مطلع القرن الثالث الهجري".[197]

الأشعرية والماتوريدية: امتداد لمدرسة أهل السنة والجماعة:

أما عن الأشعرية والماتوريدية، فقال بعض العلماء بأنهما من أهل السنة والجماعة؛ ونُقل عن الإمام محمد السفَّاريني الحنبلي في كتابه" لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية 73/1" قوله: "وأهل السُّنَّة **ثلاث فِرَق**: الأثريَّة وإمامهم أحمد بن حنبل، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي، وأما فرق الضلالة فكثيرة جداً"، وعن العلَّامة مرتضى الزَّبيدي قوله: "والمراد بأهل السُّنة هم أهل الفِرَق الأربع: المحدِّثون والصُّوفية والأشاعرة والماتريدية".[198]

وقال العلامة الفقيه عبد الله النابلسي القدومي الحنبلي:"فإن قلت إن لفظ الحديث [أي حديث افتراق الأمة] ينافي التعدد، لأنه لا يصدق إلا على فرقة واحدة، والمذكورون ثلاث فرق؟! قلتُ: لا منافاة؛ لأن أهل الحديث والأشعرية والماتوريدية: فرقة واحدة متفقون في أصول الدين على التوحيد وتقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة كلهم، وما جرى مجرى ذلك كعدم وجوب الصلاح والأصلح، وفي إثبات الكسب، وإثبات الشفاعة، وخروج عصاة الموحدين من النار، والخلاف بينهم في مسائل قليلة كتأويل آيات الصفات وأحاديثها هل هو جائز أو ممتنع؟

ربط السلفية المعاصرة بالسلفيات القديمة:

استمراراً لاستخدام مصطلح اهل السنة والجماعة، امتد إلى العصر الحديث طرف من ذلك الصراع بين أتباع الإمام الأشعري، وبين أتباع الإمام ابن تيمية (السلفية)، أو أتباع أصحاب

---

[196] موقع الدرر السنية، مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة، علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق

[197] موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد قاسم، ص 250

[198] ياسين السليمان، مؤتمر الشيشان يثير غضب المسلمين، الخليج اون لاين، 2016/9/2

الحديث، فقد سُئل الشيخ صالح الفوزان عن السلفية وإن كانت تشكل حزباً من الأحزاب؟ فقال: السلفية طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه؛ فهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية الآن، وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول ﷺ متوارثة مستمرة لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة كما أخبر الرسول ﷺ".[199]

أهم ما يجمع هذه (الفرقة) من أحكام وعقائد

على أية حال يمكن تلخيص ما حصر مَن يُسمون أنفسهم بأهل السنة / أهل الحديث بما قاله الدكتور محمد عمارة، حيث قال:" لقد كان العصر العباسي هو الحقيقة التي تبلورت فيها هذه المدرسة الكلامية [أهل الحديث] بزعامة إمامها أبو عبد الله أحمد بن حنبل؛ ولقد صاغ الإمام أحمد بن حنبل أصول هذا " المنهاج النصوصي الخمسة والتي عرضها (ابن القيم المتوفى سنة 751هـ = 1350م) بهذا الترتيب:

الأصل الأول: النصوص.

الأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة.

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف،[200] وتقديمهما على "الرأي" و "القياس".

الأصل الخامس: القياس للضرورة.

يقول الشيخ قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي[201] ما نصه:

"وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله " ثم يقول بعد ذلك: "وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة"

"وإجمال إعتقاد الأشعري رحمه الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له، ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر ، ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، قديم لا بداية لوجوده، دائم لا يطرأ عليه فناء، لا يعجزه شيء، ولا تحيط به الجهات، كان قبل أن كوَّن المكان بلا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، لا يقال متى كان، ولا أين كان، ولا كيف، لا يتقيد بالزمان ولا يتخصص بالمكان، تعالى عن الحدود والغايات والأركان، والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، وأنه سبحانه منزه عن الجلوس والمماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والإنتقال، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام، مهما تصورت

---

[199] حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي: التحفة المهدية، ص 33 و 34 نقلاً عن شريط "القول النقي في معرفة معنى السلفي".

[200] الحديث الضعيف .عند ابن حنبل .كما يقول ابن القيم: هو المقابل للصحيح، وقسم من أقسام الحديث الحسن، فهو ليس الضعيف بالمعنى المتعارف عليه عند المتأخرين من علماء الحديث. محمد عمارة" السلف والسلفية" ص 21

[201] معيد النعم ومبيد النقم (ص/ ٦٢).

ببالك فالله بخلاف ذلك، حي، عليم، قادر، سميع بصير، متكلم وكلامه قديم كسائر صفاته لأنه سبحانه مباين لجميع المخلوقات في الذات والصفات والأفعال.

ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر.

وأنه سبحانه وتعالى خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا دافع لما قضى ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد ﴿لا يُسئَل عما يفعل وهم يُسئَلون﴾ ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه سبحانه موصوف بكل كمال يليق به، منزه عن كل نقص في حقه. وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، مبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، صادق في كل ما يبلغه عن الله تعالى".

ومن خلال استطلاع أهم ما كُتب عن أحكام هذه الفرقة وعقائدها، لا سيما كتاب العقيدة الطحاوية[202] الذي أجمل هذه الأحكام، (ثم راج الكتاب وأخذت الفرق تضع الشروحات عليه، لتجد نسبة بين ما فيه وبين ما تقوله تلك الفرق، حتى وإن خالفت الشروحات أحيانا النص المكتوب!) ، نستطيع إجمالها بما يلي:

1. الإيمان: قول وعمل، وهو يزيد وينقص، تبعاً لنقاء العقيدة أو شوبها، وتبعاً لزيادة العمل أو نقصانه.
2. القرآن كلام الله وفقط، فليس بمخلوق .كما تقول المعتزلة . وليس شريكاً في قدمه كما يُلْزِمُ المعتزلةُ نفاة القول بخلق القرآن.
3. صفات الله سبحانه وتعالى التي وصف بها نفسه وأثبتها لذاته، نصفه بها ونثبتها لذاته، على النحو الذي وردت عليه في النصوص المأثورة، لا نلجأ في بحثها إلى "رأي" أو "تأويل".
4. عالم الغيب: لا ينبغي أن نخوض في بحث شيء منه، بل يجب أن نفوض حقيقة علمه إلى الله سبحانه وتعالى.
5. رؤية أهل الجنة لله تعالى: عقيدة حق يجب أن يؤمن بها المؤمن، دون "تأويل" أو "تمثيل" كما وردت بها ظواهر النصوص.
6. علم الكلام منكرٌ منكر، والاشتغال به منكر، وأخذ العقائد بأدلته منكر، بل ومجالسة أهله منكر، مهما كان دفاعهم به عن الإسلام.
7. القضاء والقدر: لا يكتمل الإيمان بدون الإعتقاد بهما، وهما من الله سبحانه وتعالى.
8. الذنوب والكبائر: لا تجعل المؤمن كافراً ولا تخلده في النار.
9. خلافات الصحابة: لا يصح الخوض فيها، بل يجب العدول عن ذكرها والوقوف عند محاسنهم وفضائلهم.
10. ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل وفق ترتيبهم في تولي الخلافة.

---

[202] الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ولد في سنة 239 هـ، توفي سنة 321 هـ عن الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية لسعيد فودة ص 15.

11. طاعة ولي الأمر واجبة حتى ولو كان فاجراً فاسقاً، والخروج عليه منكر، لما يجلبه ذلك من الأخطار، وما يعطله من مصالح الناس في حياتهم اليومية.[203]

في القرن الثالث للهجرة كتب الإمام أبو جعفر الطحاوي [238 .321=852 .933م] كتاباً سماه (العقيدة) وسيعرف فيما بعد بـ (العقيدة الطحاوية)؛ سيصيب شهرة واسعة لخص فيه عقيدة ما سمي (أهل السنة والجماعة) وأُطلِق عليه (بيان أهل السنة والجماعة) وليغدو من بعد المرجعية العقدية لإتباع مدرسة الحديث أو الرأي أو الأثر، والتي أخذت اسم (أهل السنة والجماعة) وحديثاً بتنا نسمع عنها بمسمى (السلفية). قال الطحاوي عن بيانه هذا:" هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، على مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين؛ وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين".[204] وفيما يلي أبرز نقاط هذا الكتاب وشروحه:

1. الإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان . وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى، وخالف الجهمية في موضوع علاقة الإيمان بالذنوب، فقال: ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم؛ ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.
2. إن الدين عند الله الإسلام.
3. الإيمان بالله تعالى واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره. والله هو الغني ونحن الفقراء إليه، وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة.
4. كفر من قال بالتشبيه ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر.
5. الإيمان بالعرش والكرسي وأنهما حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.
6. حرمة الخوض في ذات الله، والجدال في دين الله وقرآنه.
7. الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ ومعجزاته.
8. الأنبياء أفضل من الأولياء.

---

[203] محمد عمارة: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، نهضة مصر، ط3، 2005، ص 38 .41 ومحمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 130 وما بعدها.

[204] أنظر: شرح العقيدة الطحاوية؛ حققها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 6، 1400هـ، ص 69 ومحمد بن عبد الرحمن الخميس: شرح العقيدة الطحاوية الميسر، ط1، 1422هـ، ص 9

9. الإيمان بالقرآن الكريم وأنه كلام الله.

10. الإيمان بالملائكة والبرزخ.

11. القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

12. الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب السماوية.

13. الإيمان باليوم الآخر وما فيه من مشاهد.

14. رؤية الله حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية.

15. أهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار، فمرتكب الكبيرة لا يَخْرُجُ من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة، وإن عذِّب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

16. لا يجوز القطع لمعيَّن من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

17. الكفر من الألفاظ الشرعية وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحيانًا بالكفر العملي.

18. التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعيَّن إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع.

19. الإيمان بالحوض والشفاعة والميثاق.

20. الأعمال بالخواتيم.

21. الإيمان بأشراط الساعة.

22. الإيمان بالجنة والنار.

23. الإيمان بالقضاء والقدر.

24. وجوب طاعة الأئمة والولاة.

25. إتباع أهل السنة والجماعة.

26. وجوب الحج والجهاد إلى يوم القيامة.

27. أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد والخير والشر مقدران على العباد؛ والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها *) البقرة 286؛ وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد .

28. التكليف بما يطاق.

29. نحب أصحاب النبي ﷺ ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة؛ ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان

رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون؛ وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح؛ وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

30. لا يجوز تصديق الكهنة والعرافين.

31. . الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر، وقد يكون كفرًا دون كفر، فالأول كجواز الحكم بغير شرع الله، أو تفضيله على حكم الله، أو مساواته به، أو إحلال (القوانين الوضعية) بدلا عنه، بينما الثانية، هي العدول عن شرع الله، في واقعة معينة لهوى مع الالتزام بشرع الله.

32. ـ تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة، وفصل السياسة أو غيرها عن الدين: باطل؛ بل كل ما خالف الشريعة من حقيقة أو سياسة أو غيرها، فهو إما كفر، وإما ضلال، بحسب درجته.

ثم قال في نهاية كتابه:" فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم؛ من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضُلاَّل وأردياء، وبالله العصمة."[205]

الوهابية والسلفية:

في القرن الثاني عشر الهجري؛ الثامن عشر الميلادي ظهرت في بلاد نجد في الجزيرة العربية الدعوة الوهابية المنسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب [1115ـ1206هـ= 1703ـ1792م] والتي تُعد امتداداً لمدرسة أهل الحديث.[206]

ولكن قبل الحديث عن الوهابية والسلفية لنقل بأن أفكار هذه المدرسة انتسبت في فكرها إلى الإمام أحمد بن حنبل وتلامذته، وإن كانت البلورة الحقيقية لها هو ما خطه العلامة ابن تيمية وتلامذته ونحوه من فهم، و"بلغت مع ابن تيمية أوج نضوجها واكتمالها، وتبلور المنهج السلفي في صورته الجلية التي أبانت عن قواعده وقضاياه بصورة حاسمة، وحددت معالم الطريق لكافة السلفيين الذين جاؤوا من بعده وانتسبوا إلى السلفية، وقد تمثلت السلفية التاريخية عبر قرون عديدة في طائفة واسعة من العلماء يصعب حصرهم أمثال: ابن بطة العكبري الحنبلي ثم كان أبو

---

[205] أنظر: نص الكتاب على الإنترنت، وشرح العقيدة الطحاوية؛ ص 69و محمد بن عبد الرحمن الخميس: شرح العقيدة الطحاوية الميسر، ص 9وموقع بوابة الحركات الاسلامية.

[206] محمد عمارة: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، ص 41

شامة المقدسي وابن قيم الجوزية وابن رجب الحنبلي ثم ابن أبي العز الحنفي صاحب شرح العقيدة الطحاوية";[207] إلى أن انتهت إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن سار على نهجه فيما بعد وعُرفوا بالسلفيين.

الانتشار

قال الشيخ جمال الدين القاسمي عن مدى انتشار مذهب السلف الأثرية، [أي من يستحوذون على مصطلح أهل السنة]: " أما البلاد المنتشر فيها مذهب السلف الأثرية خاصة في العقائد، فهي بلاد نجد بتمامها، فإنها سلفية الإعتقاد، لكن يغلب عليهم الجفاء والغلو، وفي بلاد الهند طوائف سلفية داعية إلى مذهب السلف بنشر كتبه ودرسها، وفي العراق والحجاز ومصر جماعات قليلة منهم يغلب عليهم الاعتدال، وأما السواد الأعظم من معظم البلاد الإسلامية فعلى مذهب الأشعري؛ أعني من يدَّعي أنه مذهبه من تلك العقائد المبثوثة في كتب المتأخرين المتداولة، وإلا فالشعري قد صرح في كتابه (الإبانة) بأنه على مذهب الإمام أحمد في الإعتقاد تصريحاً لا شبهة فيه".[208]

إذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد بدأ دعوته في نجد من شبه الجزيرة العربية؛ فإن السلفية ما اقتصرت على تلك المواطن، بل انتشرت في القرنين الأخيرين في الحجاز واليمن وأفريقيا والهند والمغرب ومصر والشام، وعلى أيدي أُناس آخرين، متخذة في كل ناحية ظهرت فيها تلويناً معيناً بحسب الأوضاع السائدة، مع الإبقاء على الجوهر أو المنزع الرئيسي المتمثل في القصد الحثيث إلى "تصحيح" العقيدة والعبادة والسلوك.[209]

تسميات:

حمل إتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب تسمية (الوهابيين) وهو من تسميات الآخرين لهم، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب " فنحن .والحمد لله .متبِعون غير مبتدعين، مقلِدون للكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، على مذهب أهل السنة والجماعة، هو أمر الله ورسوله" وبذلك يؤكدون أنهم من "أهل الكتاب والسنة" وأنهم على خطى السلف الصالح، ويسمي (الوهابيون) أنفسهم بالموحدين أو المسلمين في مقابل المشركين؛ ويرفضون تسميتهم بالوهابيين كما هو شائع لدى الناس.[210] وهناك من سمى الدعوة الوهابية بـ(الدعوة النجدية)،[211] أما أتباع المدرسة

---

[207] محمد أبو رمان وحسن أبو هنية: الحل الإسلامي، مؤسسة فريدريتش أيبرت ومركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، 2012، ص 225

[208] جمال الدين القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1399هـ= 1979م، ص 56

[209] رضوان السيد: السلفية: التحولات والمآلات، موجز محاضرة أُلقيت في الجنادرية ضمن ندوة عن «السلفية» يوم الأحد 2010/3/21

[210] هاشم ناجي: الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد، دار الوراق، ط 2، هامش ص 13 وأحمد الكاتب: الفكر السياسي الوهابي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 2008، ص 10

[211] ياسر بن إبراهيم السلامة: الوهابية تحت المجهر، وزارة الأوقاف السعودية، 1430هـ ص 5

المعاصرون فيفضلون استخدام اسم "السلفية" و "السلفيون".[212] في حين يؤكد إتباع هذه المدرسة أنهم ليسوا أتباع مذهب جديد " وهذا ما أكد عليه الشيخ عبد العزيز بن باز إذ قال:" وليست الوهابية مذهباً خامساً، كما يزعمه الجاهلون والمغرضون، وإنما هي دعوة إلى العقيدة السلفية، وتجديد لما درس من معالم الإسلام والتوحيد".[213]

كذلك اختار أتباع هذه المدرسة والتيار اسم السلفيين أيضاً، قال الشيخ أبو عبد المعز فركوس على موقعه الإلكتروني: "والتسمية بالسلفية لا تضاد التسميات الأخرى، ولا تخالفها كتسمية"أهل السنة والجماعة"و"الفرقة الناجية"و"أنصار السنة"، لأن ذلك من باب اختلاف التنوع والمسمى واحد والمعنى أيضاً، وهو التمسك بالكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة".[214] والسلفية الوهابية كما يفسرها الدكتور رضوان السيد هي:" تيار عقدي إسلامي، يهدف في الأصل إلى تصحيح العقيدة والعبادة، وتنقيتهما وتنقية اعتقادات المسلم وممارساته من البدع الموروثة والطارئة".[215]

ويتابع أبو عبد المعز فركوس فيقول:"ومنه يتبين بوضوح أنَّ كل متأخر عن الحقبة الزمنية التاريخية المختصة بأهل القرون المفضلة الواردة في قوله ﷺ:" خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[216] وهي زمن السلف الصالح، والتزم مذهبهم ومنهجهم في الإعتقاد والعمل الفقهي يكون سلفياً ويُطلق عليه هذه التسمية لالتزامه بإتباع السلف الصالح، ويُطلق عليه "سني من أهل السنة والجماعة" لالتزامه بالسنة ومجانبته للبدعة، ويُطلق عليه "أثري" أي: من أهل الحديث والأثر لاعتنائه بالحديث النبوي رواية ودراية وتطبيقاً وعلماً، وسلوكه لهديه ﷺ ظاهراً وباطناً واشتغاله بآثار الصحابة رضي الله عنهم تمييزاً وفهماً واحتجاجاً، كما يوصف بالغريب لأنه يَصلح إذا فسد الناس لقوله ﷺ "بدأ الإسلام غريباً؛ ثم يعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء؛ قيل: يارسول الله، ومن الغرباء؟ قال: الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس"[217] وفي حديث آخر:"أُناس صالحون في أُناس سُوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم" وإنما يَصلح لأنه اتصف بالوصف المعين للفرقة الناجية في قوله ﷺ:"ما أنا عليه اليوم وأصحابي"، وقال أيضاً: وبهذا يُعلم

---

[212] أنظر:أحمد الكاتب: الفكر السياسي الوهابي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 2008، ص 10

[213] حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي: التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية، ص23

[214] الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس (الكلمة الشهرية رقم 83) وعنوانها:" شرف الانتساب إلى مذهب السلف وجوانب الافتراق مع ما يُسمى بالسلفية الجهادية والحزبية". أنظر أيضاً ما كتبناه في هذا الكتاب تحت عنوان [استحداث مصطلح "أهل السنة والجماعة".]

[215] رضوان السيد: السلفية: التحولات والمآلات، 2010/3/21

[216] رواه البخاري (2652)، ومسلم (2533)

[217] رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم 145 وورد الحديث باختلاف سياقاته وعباراته. من طرق كثيرة جداً موصولاً ومرسلاً ورواه عن النبي ﷺ عدد كبير من الصحابة يربو على العشرين تجعله عند عدد من العلماء في عداد المتواتر أو المشهور، وإن كان ثمت ألفاظ في بعض رواياته لن تثبت "[أنظر: موقع ملتقى أهل الحديث، خليل بن محمد: "حديث بدأ الإسلام غريباً: تخريج ودراسة" للشيخ سلمان العودة ومن كتابه "الغرباء الأولون" تاريخ 2006/3/2، وأنظر كذلك: "كشف اللثام بتخريج حديث غربة الإسلام" لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي؛ مكتبة الرشد، 1989 م.].

أنَّ السلفية نسبة إلى السلف الصالح الذي لا يُطلق على مرحلة السبق الزمني فحسب؛ بل هو إصطلاح جامعٌ لمعان متكاملة تُطلق .من جهة .للدلالة على منهج السلف الصالح في تلقي الإسلام وفهمه والعمل به، كما تُطلق .من جهة أخرى .على مَنْ حافظ على سلامة العقيدة وإتباع التشريع والعبادة والعمل بها وفق ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من التمسك بالوحي: الكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما، والعمل على مقتضى فهم الصحابة رضي الله عنهم ومن يوالونهم من القرون المفضلة قبل أن يحصل الإختلاف والافتراق من أهل الفِرق والطوائف وأصحاب المذاهب والنِّحَل الأخرى التي ظهرت وانتشرت في مختلف البلدان والأقطار من ألرقعة الإسلامية الكبرى، ولهذا كان الانتساب إلى مذهب السلف .بلا شك .اعتزازاً وشرفاً.[218]

بداية ظهور الوهابية:

انزعج محمد بن عبد الوهاب من مظاهر الشرك التي كانت ظاهرة في منطقته مثل اتخاذ القبور أو الرموز أو الأشجار للتوسل والتعظيم، وانزعج من فشوِّ البدع والخرافات. فرأى أنه ينبغي العمل على إزالة هذه المنكرات، فبدأ التحرك العملي لتحقيق هدفه.

التماس القوة لمساندة الفكرة:

في سبيل تطبيق أفكاره عملياً والتخلص من كل مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة التمس محمد بن عبد الوهاب سلطة قوية لتقف وراءه، فاتصل أولاً بزعيم منطقة "العيينة" عثمان بن أحمد بن معمر، ثم اتصل بمحمد بن سعود أمير الدرعية الذي استجاب لدعوته ووقف إلى جانبه " فوجد ابن عبد الوهاب السند السياسي لدعوته، ووجد ابنُ سعود غطاءً شرعياً لنشاطه السياسي"، لا سيما بعد عقد (معاهدة نجد) بين الطرفين؛ ثم أخذت الدعوة الوهابية بالانتشار، من خلال اتصالات الشيخ المباشرة مع علماء المسلمين وزعمائهم، ثم اعتمد القوة لتحقيق أهدافه.

بعد أن استقرت الأمور لآل سعود "جرى تقسيم المجال العام بين آل سعود وآل الشيخ منذ تأسيس الدولة السعودية، وذلك بتولي آل الشيخ الجانب الديني، وآل سعود للجانب السياسي، واستند موقف السلفية الوهابية من السلطة السياسية على موقف السلفية التاريخية العام الداعي إلى وجوب طاعة الحاكم".[219]

حكم ابن عبد الوهاب بالكفر على كل المسلمين المعاصرين، وعلى رأسهم "ظل الله في الأرض" خليفة آل عثمان، وبعد عشر سنوات على وفاة ابن عبد الوهاب وضحت مخاطر دعوته ودولتها على السلطنة العثمانية؛ فلقد زحف ابن سعود على رأس جيش من أهل نجد وبواديها والجنوب

---

[218] الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس (الكلمة الشهرية رقم 83) وعنوانها:" شرف الانتساب إلى مذهب السلف وجوانب الافتراق مع ما يُسمى بالسلفية الجهادية والحزبية".

[219] محمد أبو رمان: الصراع على السلفية: قراءة في الأيديولوجيا والخلافات وخارطة الانتشار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ومركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، ط 1، 2016، ص 16

والحجاز وتهامة إلى "كربلاء" بالعراق، فقاتل أهلها، واقتحمها وقتل من أهلها قرابة الألفين، وهدم قبة قبر الإمام الحسين، واستولى جيش ابن سعود على كل ما وصلت إليه الأيدي من كنوز كربلاء ومشهد الحسين، الذي كان مزداناً بمقصورة مرصعة بالزمرد والياقوت والجواهر.

وبعد أربع سنوات من ذلك، وفي عام 1805م دخل جيش ابن سعود المدينة المنورة وهدم قباب قبورها ومزاراتها، وفي العام التالي خضعت مكة له، وبايعه شريفها عندما ذهب إليها حاجاً، ويومئذ طرد ابن سعود من مكة من كان من رجال الدولة العثمانية، فتمت له السيطرة على الحرمين ونجد وتهامة والحجاز.

شكلت الدولة الوهابية التي كانت مزيجاً من قوة ابن سعود ودعوة ابن عبد الوهاب خطراً حقيقياً على الدولة العثمانية، لا سيما بعد خسارة الحرمين الشريفين، فكلف السلطان العثماني واليه على مصر (محمد علي باشا)، فاستطاع الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا / ابن محمد علي؛ هزيمة الدولة السعودية / الوهابية فسقطت الدرعية بيد المصريين في 1818/9/8م.[220]

استدعى إبراهيم باشا إليه [في الدرعية مركز الوهابية] علماءَ الوهابيين وكان عددهم خمسمئة، فلما مثلوا بين يديه خاطبهم قائلاً إنه يريد أن يمحمو أسباب الخلاف المستحكم بين عقائدهم وعقائد السنة، وأنه أحضر من القاهرة جماعة من العلماء السنيين ويود أن يجمع بينهم ليبحثوا الأمر أمامه ويتجادلوا فيه، واستمرت المناظرات ثلاثة أيام تحت نظر إبراهيم باشا الذي التزم الصمت، وفي اليوم الرابع أقفل إبراهيم باشا باب الجدل بسؤال وجهه إلى كبير العلماء الوهابيين إذ قال له: "هل تؤمن بأن الله واحد وأن الدين الصحيح واحد هو دينكم؟ فلما أجاب العالم الوهابي بكلمة "نعم" رد عليه إبراهيم باشا بلهجته القاهرية بقوله: ما رأيك في الجنة أيها الخنزير وما عرضها؟ وكان يشير إلى ما جاء في القرآن من أن الجنة عرضها السماوات والأرض، ولم يستطع العالم الوهابي أن يعترض على ذلك طبعاً، وعند هذا قال إبراهيم باشا: إذا كان عرضها السماوات والأرض كما تقول، وإذا وسعتك أنت وأمثالك رحمة الله فدخلتم الجنة، ألا تكفي شجرة واحدة من أشجارها لأن تظلكم جميعاً؟ فلمن إذن بقية الدار؟ أسألك الجواب، فسكت العالم الوهابي وأصحابه ولم يستطيعوا التقدم بأي جواب، فلما تبين لإبراهيم باشا أنه قطع حجتهم أمر جنوده بقطع رقابهم جميعاً، ولم تنقضي سوى دقائق معدودة حتى كان الجميع في عداد الموتى ودفنت جثثهم في ساحة الجامع".[221]

يقول محمد عمارة بأن الدعوة الوهابية ترى رأي ابن حنبل في ضرورة أن تكون الخلافة في قبيلة قريش وحدها، وهذا يمثل تحدياً للدولة العثمانية نفسها، وتعني تمرداً عربياً على استئثار الأتراك

---

[220] أنظر: هاشم ناجي: الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد، دار الوراق، ط 2، ص 13 وما بعدها (بتصرف) وأحمد الكاتب: الفكر السياسي الوهابي، ص 41 و77 وما بعدها (بتصرف).

[221] أنظر: هاشم ناجي: الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد، ص 46 (فصل: الحركة الوهابية، وهو مقتبس مما كتبه علي الوردي في كتابه لمحات اجتماعية الذي نقل عن كتاب: بيير كربتيس: إبراهيم باشا، ترجمة محمد بدران ص 40و41).

بالسلطة والسلطان على العرب والمسلمين.[222] ولكن تحالف ابن عبد الوهاب مع ابن سعود[223] يقول غير ذلك، فهل غير الشيخ رأيه في شرط القرشية؟[224]

الخطوط العريضة للدعوة الوهابية والسلفية:

1. إنكار الشرك والدعوة إلى التوحيد الخالص، والتوحيد ينقسم إلى:

أ- توحيد الربوبية: الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً رازقاً متصفاً بصفات الكمال.

ب- توحيد الألوهية:أن يخص المسلم أنماط العبادة كلها لله وحده عز وجل، وبالتالي لا يدعو المسلم سوى الله تعالى ولا يطلب العون من الأموات والأضرحة، وأيضاً لا يُقدم النذر إلا لله تعالى وحده، ولا يكون الذبح و التوكل والاستعانة والخوف والخشية والاستغاثة والرجاء والمحبة إلا لله تعالى ومنه. "وهو توحيد الطاعة والإتباع والخضوع في العبادة لله تعالى، وكذلك في التشريع العام".[225]

ت- توحيد الصفات: أن يعتقد المسلم أن الله تعالى تفرد باسمائه وصفاته الحسنى ولا يشاركه فيها أحد، مثل أن الغيب يعلمه الله تعالى وحده.[226]فيثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ دون تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف.

---

[222] محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 257

[223] حسب موسوعة ويكيبيديا فإن آل سعود ينحدرون من عشيرة المردة / قبيلة المصاليخ من عنزة حلفاً ومن بني حنيفة من بكر بن وائل نسباً، وهذا ما أكده (الأمير سلمان بن عبد العزيز) في رسالته لقناة "المستقلة"يوضح فيها ما جرت مناقشته حول نسب آل سعود في برنامج "تاريخ الأمم"، وتاريخ رسالته 1420/4/16هـ= 2008/4/22م، [إخبارية الجوف الإلكترونية: الأمير سلمان يؤكد انتساب آل سعود لقبيلة عنزة بعد خلاف دار بقناة المستقلة الفضائية على نسب آل سعود].

[224] حول تخلي محمد بن عبد الوهاب عن شرط القرشية، أنظر: **الوهابية** :الاسلام ونظام الحكمThe Enlightened Minds » ، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "الناسُ منذ زمن طويل، قبل الإمام أحمد، إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم" وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -: "ومنذ أزمنة بعيدة، من زمن الأئمة، والناس مفترقون، كل جهة لها إمام، وكل إمام مسموع له ومطاع بإجماع المسلمين، لم يقل أحد من المسلمين: إنه لا تجب الطاعة إلا إذا كان خليفة واحدا لجميع بلاد الإسلام، ولا يمكن أن يقول أحد ذلك؛ لأنه لو قيل بهذا، ما بقي للمسلمين الآن إمام ولا أمير، ولمات الناس كلهم ميتة جاهلية؛ لأن الإنسان إذا مات، وليس في عنقه بيعة؛ فإنه يموت ميتة جاهلية".

أنظر موقع "السكينة: الرد على شبهة الغلاة: لا بيعة إلا لخليفة واحد" الدكتور: أحمد الرضيمان، 2015/8/16

[225] إبراهيم العسعس: السلف والسلفيون: رؤية من الداخل، دار البيارق، ط 2، 1419هـ= 1998م، ص 61

[226] النقاط (أ، ب، ت) من بحث "الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى" الشيخ عيد عباسي (بحث منشور في كتاب: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر؛ البحرين 1405هـ= 1985م، ص 205 وما بعدها). وأنظر أيضاً: عبد الرحمن عبد الخالق: الأصول العلمية للدعوة السلفية، الدار السلفية ؛ كويت، ط 1، 1395هـ وأنظر أيضاً: عيسى مال الله؛ المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث؛ سلسلة الدروس العلمية للدعوة السلفية (3)، (غير منشور) ص 107 وهناك نسخة على الإنترنت في موقع "المكتبة الوقفية".

2. إنكار البدع، والخرافات، كالبناء على القبور واتخاذها مساجد ونحو ذلك كالموالد والطرق التي أحدثتها طوائف المتصوفة.

3. أمر الناس بالمعروف، وإلزامهم به بالقوة؛ فمن أبى المعروف الذي أوجبه الله عليه، ألزم به وعزر عليه إذا تركه؛ وينهى الناس عن المنكرات، ويزجرهم عنها، ويقيم حدودها، ويلزم الناس الحق، ويزجرهم عن الباطل.

4. مسألة الإتباع: يقول السلفيون بأن الأصل في الإنسان أن يكون مجتهداً يستنبط الأحكام الشرعية بنفسه، ولا يلتزم بمذهب معين، فإن لم يستطيع ذلك انتقل لحالة (الإتباع) والمتبع هو الذي يستعين بعالم مجتهد بعد أن يفقه دليله ويسأله عن حجته ويقتنع بها، ويرجح من أقوال العلماء ما يراه أقرب لنفسه. فإن لم يبلغ المسلم هذه الدرجة من التعامل مع الأحكام الشرعية جاز له التقليد، فيسأل عالماً ثقة فيأخذ بفتواه [227](دون البحث في الأدلة والتعامل معها).

5. رفض ابن عبد الوهاب الاستدلال بـ"القياس" حتى ولو كان قياساً صحيحاً، ووقف عند ظواهر النصوص القرآنية والنبوية، ورفض أن يلجأ في فهمها إلى التأويل، واستقر الرأي في الوهابية على أن "الرأي" لا وزن له بجانب النص".[228]

6. التزكية النفسية والتصفية الروحية: ويُقصد به "تطهير النفوس وتطبيبها وتنقيتها من قبائحها.[229] أو تنقية الإسلام من كل ما دخله من شوائب، والسبيل إلى ذلك تنقية السنة مما دخلها من موضوع وضعيف، وتصفية كتب التفسير من الشوائب الدخيلة،[230] وكذلك الفكر الإسلامي، وتربية وتنشئة الجيل المسلم على الإسلام خاصة العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة.[231]

---

[227] بحث "الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى" الشيخ عيد عباسي (بحث منشور في كتاب: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر؛ البحرين 1405هـ= 1985م، ص 214

[228] محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 255 نقلاً عن "مجموعة التوحيد لابن عبد الوهاب، رسالة"هذه مسائل الجاهلية" ص 87

[229] عبد الرحمن عبد الخالق: الأصول العلمية للدعوة السلفية، ص26

[230] غني عن القول أن الشوائب المقصودة هي ما خالف فهم أصحاب هذه المدارس المسماة بالسلفية، وقال السيد عيسى مال الله:" ويدخل في التصفية لكتب التفسير الردُّ على مخالفي الحق من المفسرين، كما فعل كثيرٌ من دعاة أهل الحديث [أشار مال الله إلى الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ الألباني] وأكمل مال الله فقال: وكما فعل أيضاً الأخ الفاضل الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي في كتابه "المفسرون بين التأويل والإثبات لآيات الصفات" إذ تكلم عما يقارب الثلاثين تفسيراً بيَّن خلاله أن أكثر من ثلثي هؤلاء المفسرين مخالفون للحق، فكان من بينهم: الثعلبي والرازي والبيضاوي والنسفي وأبو السعود وسيد قطب وفريد وجدي والصابوني والمراغي وغيرهم...إلخ": عيسى مال الله؛ المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث؛ سلسلة الدروس العلمية للدعوة السلفية (3)، ص 145

[231] المرجع السابق وعيسى مال الله؛ المختصر الحثيث؛ ص 142

7. نبذ التحزب والحزبية: أنكر السلفيون مفهوم الحزبية والانتماء إليها، جاء ذلك على لسان علماء هذا التيار وفتاواهم بصراحة، ومنهم السادة الشيوخ الفضلاء: صالح الفوزان وعبد العزيز بن باز ومحمد ناصر الدين الألباني ومحمد أمان بن علي الجامي وصالح بن محمد اللحيدان؛ سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى عن الانتماء للأحزاب (الحزبية المسماة بالدينية)، فأجاب: "أما الانتماء إلي الأحزاب المحدثة فالواجبُ تركها وأن ينتمي الجميع إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم... إلى أن قال ولا فرق في ذلك بين جماعة الأخوان المسلمين أوأنصار السنة أوالجمعية الشرعية أو جماعة التبليغ أوغيرهم من الجمعيات والأحزاب المنتسبة للإسلام، وقال الشيخ الألباني: "أما إطلاق لفظة السلفية على حزب ما فأنا أراه كإطلاق لفظة الإسلامية علي بدعةٍ ما"؛ وفي فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء جاء في الفتوى رقم 1674 وهي إجابة عن سؤال نصه: "ما حكم الإسلام في الأحزاب وهل تجوز الأحزاب بالإسلام مثل حزب التحرير وحزب الإخوان ؟ الجواب: " لا يجوز إن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً يلعن بعضهم بعضاً ويضرب بعضهم رقاب بعض؛ فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أوتابع أهله وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم وقد تبرأ اللهُ ورسولُه منه قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) إلي قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم *) الآيات 102 .105 آل عمران. وقال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون *) الأنعام 159 وثبت عن النبي ﷺ أنه قال (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[232] والآيات والأحاديث في ذم التفرق كثيرة[233] .

وسبب نبذ الحزبية من وجهة النظر السلفية هذه أنها بدعة لم يعرفها المسلمون طيلة حياتهم، وأنها تدعو لتفرقة المسلمين وضياع وحدتهم.

---

[232] الحديث أخرجه مسلم، حديث (65)، وأخرجه البخاري في" كتاب العلم" "باب الإنصات للعلماء "حديث (121)، وأخرجه النسائي في" كتاب التحريم" "باب تحريم القتل "حديث (4142)، وأخرجه ابن ماجه في" كتاب الفتن" "باب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض "حديث (3942).

[233] أنظر: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر؛ البحرين، ص589 (حيث نص الفتوى)، وكذلك موقع موقع الآفاق منتديات السلفية" التقريرات السنية لعلماء الدعوة السلفية فى دك معاقل الحزبية" جمع وترتيب وتعليق أبي عكرمة الخالدي السلفي جمادى الأولى 1429هـ، وقال معد البحث: هذا البحث راجعه شيخنا عبد الحميد الجهني حفظه وأوصى بنشره. بحث "بعنوان:حكم الأحزاب في الاسلام": المصدر:منتديات أنصار الدعوة السلفية.

8. يمتاز الوهابيون بسرعة تكفير المخالفين لهم فيما تبنوه من أحكام عقدية، فكفروا من يقوم بزيارة القبور والأضرحة والاستغاثة بها وطلب الشفاعة من أصحابها، وطالب الشيخُ ابن عبد الوهاب الناسَ بعدم الاكتفاء بترك زيارة القبور والأضرحة؛ بل يجب الانضمام لدعوته عملياً؛ واعتبر من يتردد في ذلك أو يتخذ موقفاً مؤيداً "للمشركين .وهم هنا زوار الأضرحة وامثالهم .كافراً أيضاً. وكذلك اعتبر محمد بن عبد الوهاب "الرافضة / الشيعة" كفاراً. (حاول الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفي تهمة تكفير العامة من المسلمين وقال بأن ذلك من تلفيق خصومه، ولكن الذي يقرأ للكثير من أتباع دعوته الحاليين لا سيما من بعض السلفيين يرى سهولة الحكم بكفر الآخرين من المسلمين).

9. ذكر الأستاذ أسامة شحادة أهم (المبادئ السياسية في فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب) وذلك نقلاً عن الأستاذ محمد السكاكر، وهي:

أ- إن طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية.

ب- تحريم الخروج على السلطان المسلم.

ت- يجب على ولاة الأمر نصرة الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ث- السلطان مسؤولية رعاية المجتمع وحفظ أمنه وأمواله.

ج- على السلطان حُسْن اختيار مساعديه وقضاته.[234]

سؤال: ما دام أنه يحرم الخروج على الحاكم المسلم وتجب طاعته في غير معصية .وهذا صحيح . فلماذا شارك الوهابيون ابن سعود في الخروج على الدولة العثمانية وهاجموا الكثير من الحواضر الخاضعة لسلطة الخليفة العثماني: مكة المكرمة، المدينة المنورة، البصرة، كربلاء، النجف؟!!.

تشعبت السلفية المعاصرة إلى شعب كثيرة منها:[235]

1. السلفية التقليدية المحافظة العلمية، وعلى رأسها علماء السعودية والشيخ ناصر الدين الألباني، ويقف في صف هذا الاتجاه ما سُمي بالمدرسة الجامية والتي تُنسب للشيخ محمد بن أمان الجامي، ويقف إلى جواره ربيع بن هادي المدخلي، وهذان الأخيران أكثر تشدداً من شيوخهم في رفض العمل السياسي والحزبي، وهاجموا رواد الجماعات الإسلامية المشتغلين بالسياسة، وقالوا بالتأكيد على طاعة ولي الأمر ورفض المعارضة والخروج على الحاكم.

2. السلفية الحركية: وتزاوج هذه الدعوة بين الأفكار السلفية التقليدية والعمل بالسياسة.

---

[234] أسامة شحادة: الدعوة السلفية، ص 94.

[235] أنظر: محمد أبو رمان: الصراع على السلفية، ص 20 ومحمد أبو رمان وحسن أبو هنية: الحل الإسلامي، ص 222.230

3. السلفية الجهادية: وبرزت في تسعينيات القرن العشرين، وقد ركز أصحاب هذا التيار على مفهوم الحاكمية واختيار طريق الجهاد للوصول إلى تطبيق الحاكمية، وقد تأثر أبناء هذا التيار بالأفكار السلفية التقليدية مع مزجها بأفكار سيد قطب، وقد برز من قادة هذه الحركة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، وما نتج عنها فيما بعد كتنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة وغيرها.

نعم هي فرقة:

من هنا نرى أن هؤلاء الناس الذين التقوا على هذه الآراء يشكلون جماعة معينة شأنهم شأن الفرق الأخرى، لاسيما وأنهم يلتقون على مراجع فكرية تشكل لهم مسار رؤيتهم الثقافية ونظرتهم للآخرين وتحدد لهم تميزهم عمن سواهم، هذه المرجعية هم (شيوخهم وعلماؤهم ومنظروهم)، فابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وابن باز والألباني وغيرهم [بصفتهم زعماء هذا التيار]؛ ألا يقابلون زعماء التيارات والفرق الأخرى: عمر بن عبيد وواصل بن عطاء والأشعري والماتوريدي والإمام جعفر الصادق ومعبد الجهني والجهم بن صفوان وغيرهم [فهؤلاء زعماء ورموز أتباعهم وهؤلاء زعماء ورموز أتباعهم]، لذى نرى أنهم فعلاً إحدى الفرق الإسلامية، ولكن الإشكال سيكون في الاستئثار بالانتساب للسنة النبوية والاستحواذ على مصطلح (أهل السُّنة والجماعة)، مما يُفهم أنهم وحدهم أهل السنة، وأنهم وحدهم جماعة المسلمين، وهو أمر أشاروا إليه تصريحاً وتلميحاً [فهم يقولون بأن من أسمائهم جماعة المسلمين كما مر عند تعداد أسمائهم]، **لذى فالأجدر تسميتهم تسمية أخرى لا تجعل مسمى السنة النبوية حكراً عليهم، ولا يَخرج غيرهم من هذه النسبة، وأرى أن تسميتهم بالأثرية أو السلفية تسمية مناسبة** لأنهم يتتبعون آثار السلف الذين ظنوا أنهم من خير القرون التي أشار إليها الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ).[236]

ملاحظة مهمة: استقر في أذهان العامة والكثير من الناس استخدام مصطلح (أهل السنة والجماعة) للتعريف بالمسلمين الذين يقابلون طوائف الشيعة والدروز والعلويين والبهائيين وغيرهم من أصحاب الفرق والمذاهب الإسلامية أو المنسوبة للإسلام، وهذا ما تستخدمه وسائل الإعلام المختلفة وتركز عليه. لذلك يُفهم من القول (أهل السنة) بأنهم المسلمون الذين ليسوا من تلك الفرق. وهي تسمية غير دقيقة؛ ولا تدل دلالة واضحة على وجود طائفة تقابل تلك الفرق، وليس من داع لتمييز بقية المسلمين عن تلك الفرق بهذه التسمية أو سواها، ويجب التركيز على هذه الفكرة وعدم الانسياق وراءها.

---

[236] البخاري ورقمه 2651و 3650 و 3651 ومسلم2535و 2533.

خطورة حصر المصطلح بفرقة واحدة

رأينا من قبل أن "مصطلح (الجماعة) له مفهوم شرعي محدد"، وقلنا بأن (الجماعة) المقصودة هي عامة المسلمين الموحدين المقرين بالشهادتين، ولا يختص هذا المصطلح بجماعة مهما قالت عن نفسها بأنها هي المقصودة بالوصف الوارد في الأدلة الشرعية التي تستشهد بها، لا سيما وأن كل (فرقة) تزعم أنها (على الحق والصواب)، ومن هنا نرى مجانبة الصواب أن تختص (فرقة ما) بهذا المصطلح وتمنع الآخرين من الدخول فيه، فمن جزم وأكد أن المقصود بالفرقة الناجية وأهل السنة هم أصحاب هذا الفهم أو ذاك؟!! وأنهم هم (ما أنا عليه وأصحابي) كما جاء عن النبي ﷺ في الحديث الشريف: (... وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)[237] ومن هنا نرى أن ما ذهب إليه الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل مجانب للصواب، ذلك أنه قال: "زعم بعض أهل الأهواء (قديماً وحديثاً) أن أهل السنة والجماعة، وصف أطلقه السلف على أنفسهم وأتباعهم والحق أن: أهل السنة والجماعة وصف شرعي لأهل الحق الذين يتمسكون بالسنة حين يخرج عنها أصحاب السبل أهل الأهواء والبدع والافتراق، وأهل السنة هم الطائفة التي تبقى على الحق ظاهرة كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك).[238] فقد نص حديث رسول الله ﷺ هذا على أن هذا الدين سيبقى ممثلاً بطائفة، وهي الفرقة الناجية، التي استثناها الرسول ﷺ من الفرق الهالكة عند الافتراق والإختلاف في الدين، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – وغيره أنه ﷺ قال: (تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).[239] وقد أجمع أهل العلم وأئمة الهدى، على أن هذه الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة. وأهل السنة والجماعة هم: الصحابة والتابعون والسلف الصالح وأئمة الهدى، أهل الحديث والعلم والفقه في الدين في القرون الثلاثة الفاضلة، ومن اقتفي أثرهم واتبع سبيلهم، ولم يحدث ولم يبتدع في الدين ما لم يكن من هديهم، لأنهم كانوا على المحجة البيضاء، على بينة من ربهم، لم تعصف بهم الأهواء والفتن، ولم تحرفهم البدع عن العروة الوثقى والصراط المستقيم. وأهل السنة هم كل من هو على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابُه والتابعون، في الهدي الظاهر والباطن."[240] وكما يُلاحظ فإن أوصاف (أهل السنة) كما

[237] أنظر تخريج الحديث في هذا البحث عند الكلام على حديث افتراق الأمة.

[238] أخرجه البخاري 3640 و 7311 ومسلم 1921

[239] - أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح (5/25)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وأخرجه أحمد في المسند (1 / 128)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، راجع كتاب السنة (32، 33، 34).[أنظر ما كُتب عن هذا الحديث ومدى صحته في هذا البحث، فهناك ما يخالف رأي الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل وإتباع هذه المدرسة].

[240] ناصر بن عبد الكريم العقل: حراسة العقيدة، وزارة الأوقاف السعودية، 1429هـ= 2008م، ط1، ص 43

حددها الدكتور العقل هي أوصاف عامة غير منضبطة، وتخضع للفهم الشخصي (الاجتهاد) في فهم النصوص.

ومن أضرار احتكار هذا المسمى (اهل السنة والجماعة) والاستئثار به ما ذكره الأستاذ إبراهيم العسعس، إذ كتب فقال: "فلنفترض شرعية التلقب بهذا اللقب، فإن حال من ينتسب إليه يقتضي تركه ونبذه لوقوع المُتلبِّس بهذا اللقب في الخطأ والإبتداع، والبدعة في هذا المستوى تظهر فيما يلي:

أ- ان هذا الاسم أصبح لافتة تنضوي تحتها مجموعة معينة، تَتخذ من بعض الاختيارات الفقهية شعاراً لها.

ب- امتحان المسلمين بهذه الاختيارات، وجعل اللقب معياراً للولاء والحب والبغض.

ت- أصبح هذا اللقب من عوامل تفرق الأمة، داعياً إلى التعصب له، ولاختيارات علمائه، بدلاً من أن يكون .كما أريد له ابتداء .سبباً في تجميع الأمة ودافعاً إلى الالتزام بالسنة، وطريقة الصحابة.[241]

---

[241] إبراهيم العسعس: السلف والسلفيون: رؤية من الداخل، دار البيارق، ط 2، 1419هـ = 1998م، ص 41

الفرق والمذاهب: اختلاف في الفقه أم في العقائد؟ هل الخلاف بين الفرق محمود أم مذموم؟

قبل الحديث عن الخلافات العقدية .الجائز منها وغير الجائز ـ دعونا نتحدث عن الخلافات الفقهية بين المسلمين.

الخلافات الفقهية:

الفقه هو "العلم بالأحكام الشرعية العملية الفرعية المستمدة من أدلتها التفصيلية"[242] ويُبنى الفقه على النظر في الأدلة الشرعية، وأهمها الكتاب والسنة؛ وما أرشد هذان الأصلان إليه كالقياس والإجماع (بأنواعه) وشرع من قبلنا والعرف والمصالح المرسلة ومآلات الأفعال ومنها سد الذرائع والاستحسان والاستصحاب وعمل أهل المدينة وقول الصحابي. ولما كانت هذه الأدلة ظنية في أصلها .سواء من حيث الدلالة أو الثبوت .ستكون النتائج .أي الأحكام الشرعية المستنبطة .ظنية أيضاً، ولهذا سنجد اختلافات في هذه الأحكام لدى الفقهاء المجتهدين الذين تعرضوا لعملية الاجتهاد من خلال النظر في هذه الأدلة والبحث عن الحكم الشرعي، بناء على ذلك رأينا الإختلاف في استنباط هذه الأحكام منذ عصر النبوة بين الصحابة عليهم رضوان اللته تعالى، ثم تشعب هذا الخلاف إلى أن وصلنا إلى مدارس متعددة في الاجتهاد عُرفت بالمذاهب الفقهية الإسلامية وأشهرها ثمانية مذاهب هي:

1. المذهب الحنفي، ويقف على رأس هذا المذهب الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت [80 .150هـ = 699.767م]. وأشهر رجالاته: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وزفر بن الهذيل وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني.
2. المذهب المالكي: ويقف على رأس هذا المذهب الإمام مالك بن أنس [93هـ = 179هـ = 711 .795م].وأبرز شخصياته: أسد بن الفرات وسحنون بن سعيد القيرواني وأبو بكر الباقلاني والقرطبي صاحب التفسير والقاضي عياض والإمام الشاطبي وأبو بكر بن العربي.
3. المذهب الشافعي: ويقف على رأس هذا المذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي [150 .204هـ = 767.820م]. ومن أشهر رجالاته: يوسف بن يحيى البويطي وإسماعيل بن يحيى المزني والبيهقي وإمام الحرمين الجويني وأبو حامد الغزالي والإمام السبكي ومحي الدين النووي وجلال الدين السيوطي وابن حجر العسقلاني.
4. المذهب الحنبلي: ويقف على رأس هذا المذهب الإمام أحمد بن حنبل [164 .241هـ = 780 . 855م]. ومن أشهر رجالاته: إبراهيم بن إسحاق الحربي، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن

[242] عبد العزيز الخياط: المدخل إلى الفقه الإسلامي، دار الفكر، ط 1، 1411هـ = 1991م، ص 9

قدامة ، محمد بن مفلح بن محمد الصالحي ، الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وأبو القاسم الخرقي وأبو يعلى الفراء وابن الجوزي وابن قدامة المقدسي، والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

5. المذهب الزيدي: ويقف على رأس هذا المذهب الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين[76. 122هـ= 695.740م]. ومن أشهر رجالاته: الإمام يحيى بن الحسين، القاسم بن إبراهيم الرسي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (170ـ242هـ) تشكلت له طائفة زيدية عرفت باسم القاسمية.

6. المذهب الجعفري / الإمامية: ويقف على رأس هذا المذهب الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق [80 .148هـ= 702 .765م].ومن أبرز شخصياتهم بالإضافة إلى الأئمة الاثني عشر المعروفين: منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي والكُلَيني صاحب كتاب الكافي والحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، وآية الله المامقاني وأبو جعفر الطوسي ومحمد بن مرتضى المدعو ملا محسن الكاشي ومحمد بن الحسن الحر العاملي ومحمد باقر بن الشيخ محمد تقي المعروف بالمجلسي وفتح الله الكاشاني ومن المعاصرين آية الله الخميني.

7. المذهب الظاهري: ويقف على رأس هذا المذهب الإمام داود بن علي الأصفهاني [202 .270هـ= 816ـ884م]. ومن أشهر رجالهم: الإمام ابن حزم الظاهري، والإمام النحوي نفطويه، وابن طاهر القيسراني، وابو حيان الغرناطي، والأديب ابن نباته المعروف بابن الرومية، ومن المحدثين الدكتور اللغوي سعيد الأفغاني.

8. المذهب الإباضي: ويقف على رأس هذا المذهب الإمام جابر بن زيد [21 . 93هـ= 641 .712م]. ومن أشهر رجاله: جابر بن زيد وعبد الله بن إباض التميمي وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعبد الله بن يحيى الكندي والربيع بن حبيب وأبو بلال مرداس بن حدير وعبد الله بن وهب الراسبي، ومن المعاصرين الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي مفتي سلطنة عُمان.

ولمّا كان في الأصل أن يكون المسلم مجتهداً قادراً على استنباط الأحكام الشرعية بنفسه، كان في الحضارة الإسلامية مئات المجتهدين الذين التف حولهم عشرات بل مئات التلاميذ، وكان هناك من المذاهب الفقهية غير هؤلاء حتى أنها عدت 50 مذهباً لم يعد لأي منها وجود ومن أشهر هؤلاء العلماء:

1. الليث بن سعد (92 - 175 هجرية) وهو فقيه مصر، وقد برز هناك عندما تصدى للدفاع عن عثمان بن عفان لكثرة انتقاص أهل مصر له؛ وقال فيه الشافعي: الليث أفقه من مالك. ويقال أن سبب انقراض مذهبه هو عدم قبوله منصب القضاء في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي.

2. عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (المتوفى سنة 257 هجرية): وقد انتشر هذا المذهب في الشام والأندلس، وبقي هناك لغاية 302 هجرية قبل أن يحل مكانه مذهب الإمام الشافعي.

3. سفيان الثوري (65 - 161 هجرية): ولد في الكوفة، وكان أحد تلامذة الإمام جعفر الصادق، وهو أحد الأئمة المجتهدين، وله مذهب لم يدم العمل به لقلة إتباعه؛ وبقي مذهبه معمولا به لغاية القرن الرابع. وقد لقب بأمير المؤمنين في الحديث وسيد الحفاظ.

4. الحسن البصري (المتوفى سنة 110 هجرية): وهو من التابعين وكان أبوه مولى لزيد بن ثابت الأنصاري، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

5. عامر بن شرحبيل الشعبي (المتوفى سنة 105 هجرية): كان قاضياً لعمر بن عبد العزيز ومحدث أهل الكوفة، وكان يفتي على ما صح عنده من الرواية، ولا يقول برأيه.

6. الإمام أبي ثور: إبراهيم بن خالد أبي اليمان البغدادي (170.240هـ)، وقال فيه الإمام النووي: "أبو ثور: الإمام الجليل الجامع بين علمي الحديث والفقه، أحد الأئمة المجتهدين".

كانت الصفة السائدة بين إتباع هذه المذاهب المحبة والتعاون وتفهم الخلاف الفقهي وتقبله، فالإمام جعفر الصادق هو معلم وأستاذ أبي حنيفة الذي علمه سنتين وكان أبو حنيفة يقول" لولا السنتان لهلك النعمان"، وكذلك تتلمذ الإمام مالك على الإمام جعفر، وتتلمذ الإمام الشافعي على الإمام مالك، وقال الشافعي رحمه الله: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. والإمام الشافعي أستاذ ومعلم الإمام أحمد بن حنبل، وقد فال ابن حنبل في معلمه " إن الشافعي كالشمس للناس والعافية للبدن".

وسبب الخلافات الفقهية متنوعة لعل منها:

1. غياب الدليل عن الفقيه المجتهد عند شروعه في الاجتهاد، لا سيما من السنة (الحديث)، وخاصة قبل تدوين السنة.
2. اختلاف الفقهاء في اعتبار صحة بعض الأحاديث أو تحسينها أو تضعيفها.
3. اختلاف الفهم في دلالات بعض الألفاظ والتراكيب الواردة في الأدلة.
4. اختلال أصول الفقه المتبناه في هذا المذهب عن ذاك، كأن يأخذ البعض بإجماع الصحابة، في حين يقول آخرون بإجماع آل البيت، أو عمل أهل المدينة.
5. تأثر بعض الفقهاء (لاسيما المحدثون) بالواقع، فعمدوا على ما يُسمى فقه الواقع لإيجاد تبريرات فقهية حتى يتواءم حلول بعض المشكلات المستجدة مع الرؤية السائدة في الواقع.
6. تعارُض الأدلة: قد يَسلم المجتهد بثبوت الدليل؛ لكن اعتبارات أصولية أخرى قد تؤدي إلى تعدد الأفهام كمعارضة العام بخاص، أو المُطلق بمقيد، أو الأمر المطلق بما ينفي الوجوب، أو الحقيقة بما يدل على المجاز، أو المعارضة بالنسخ أو التأويل أو القياس الجلي.

الخلافات العقدية:

اعتبار فرقة واحدة هي الفرقة الناجية وأنها هي (أهل السنة والجماعة)، سيحكم بداهة على الآخرين أنهم من أهل النار، ولما كان من البدهي أن الخلاف في البشر وبينهم أمر عادي وطبيعي، وأنه لا يمكن أن يكون الجميع على فهم رجل واحد، كل هذا يجعلنا نتساءل: ما هي حدود الإختلاف؟ وما هي الأمور التي تقذف بصاحبها خارج دائرة (السنة والجماعة)، أي خارج الإسلام؟؟!!.

الأصل أن يبني المسلم عقيدته على أمور قطعية الدلالة والثبوت، ولكن هناك بعض المسائل في محال العقيدة كانت أيضاً موضع اختلاف في الرؤية عند المسلمين، وذلك ناتج عوامل منها:

1. اعتبار هذه الآية مثلاً من المحكم أو المتشابه.
2. قد يأخذ البعض مسائل في العقيدة بناء على أحاديث الآحاد في حين يمنع آخرون ذلك، فيشترطون التواتر.
3. الإختلاف في فهم بعض دلالات الألفاظ والتراكيب في الأدلة.
4. قيام بعض العلماء وأصحاب الفرق بتأويل بعض الأفكار والأمور العقدية بما يناسب تصوراتهم العقدية؛ أو مطالعاتهم في كتب الفلسفة.

والسؤال هنا: هل الخلاف الذي وقع بين المعتزلة والجبرية والأشاعرة وأهل الحديث والشيعة وبقية الفرق مما يُحْمَد الخلاف فيه ويبقى الكل تحت مسمى المسلمين، و من إتباع السنة؟

يخبرنا الله عز وجل أن أمر الخلاف العقدي قد حصل في أمم سابقة؛ فقال عز وجل ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ*﴾ الجاثية:16ـ18. ولذلك يحذرنا الله تعالى من الوقوع في الخلاف الذي وقعت فيه تلك الأمم، يقول الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ*﴾ آل عمران: 105. يقول الله عز وجل: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ*﴾ الروم:31-32.

وعلى هذا الأساس، فإن الأصل أن الإسلام جاء بالبينات والهدى، وفصله الله على علم، فإن جرى الإختلاف فيه نشأت الفرق بتعدد الأفهام.

فأما التمايز في أصول العقيدة [أركان العقيدة] فمذموم، وذلك أن الإعتقاد لا بد أن يقوم على القطع، ولا شيء غير القطع. وما كان حاله أنه قائم على القطع فلا مجال للاختلاف فيه، ولا التمايز عنه، وإن كان الخلاف في الفرعيات فهو اختلاف محمود. ما دام تم الإلتزام بأصول الاجتهاد وانتفى عنه إتباع الأهواء.

أما الإختلاف في العقائد، فإشكالية ينبغي حلها، ومثل هذا الإختلاف إما أن يكون خلافاً في قطعيات، وهنا إما إسلام وإما كفر، كذلك الخلاف الذي بين المسلمين وبين الدروز أو الإسماعيلية، أو القرامطة أو الحشاشين، أو النصيرية، أو البهائية أو البابية أو الأحمدية القاديانية.[243] فقد أضافت تلك الفرق إلى "عقائدها" ما لا يصح أن يعتبر مثله من العقائد، فمثل هذا الخلاف تخرج فيه تلك الفرق من الإسلام، وكما تلاحظ، فإن التمايز لا بد أن يكون عن الإسلام حتى تكون هناك مرجعية يقاس عليها الصواب أو الخطأ، أي أن المقياس هو: المحجة البيضاء التي تركنا عليها الرسول ﷺ.

وهناك اختلاف في العقائد، أخذ منحى آخر، وهو الإيمان بأصول العقائد، كالإيمان بالله وبالرسول ﷺ، والملائكة والكتب واليوم الآخر والجنة والنار، وما كان على هذه الشاكلة من القطعيات، من ذلك: أن الله تعالى أمرنا أن نؤمن أنه رؤوف رحيم غفور سميع بصير، فهذه من القطعيات، **ثم لما حاولت تلك الفرق "فهم" هذه الصفات**، وقاستها على المشاهد من صفات الحاضر، أي الإنسان، دخلت في دائرة خطأ في التفكير، وأنتجت أفكاراً معينة، لا مجال للخوض فيها هنا، إذ ليس من السهولة جمع تلك الأفكار في بوتقة واحدة أو حل النزاعات التي جرت عبر قرون في سطور قليلة، إلا أنه يهمنا أن نفهم أن العقيدة يجب أن تكون واحدة لا تتعدد، وهي قطعية، وأن فِرَقَاً كثيرة أدخلت فيها ما لم يطلب الشارع بحثه، وأن هذا البحث على غير منهج السنة في البحث. ومن المهم أن نفهم أن أموراً معينة إنْ فعلها المسلم صار مسلماً، وإنْ فعلها المؤمن صار مؤمناً.

حرمة الإختلاف في أصول الدين

لا يشك عاقل في أن المسلمين قد نهاهم رب العالمين عن الإختلاف في أصول الدين، تلك الأصول التي لا بد أنها مقطوع بها وبالتالي فلا يمكن لأحد أن يتخذ حيالها إلا أحد موقفين: إما الأخذ بها أو إنكارها، وبالتالي فأحد الموقفين يفضي إلى الإيمان والآخر إلى الخروج من الإسلام إلى الكفر.

ولا ننكر أن كثيراً من الخلافات تطرقت إلى قطعيات، نتج عنها خروج كثير من حملة تلك الآراء من مسمى: المسلمين إلى مسمى الكافرين. لكن كثيراً جداً من الخلافات لم تكن منتمية إلى تلك المنطقة الحرجة التي مُنعنا من الخوض فيها، بل كانت في قضايا فرعية، مثل مسألة الخلاف في فهم بعض الآيات المتعلقة بالصفات، فالإسلام وهو يبقي بعض هذه القضايا في دائرة الخلاف المحمود، فإنه يضع الضوابط الدقيقة للتعامل مع مثل هذه القضايا حتى لا يكون للرأيين

[243] تحدثنا عن فرقتي الإسماعيلية والدروز عند حديثنا عن الفرق الإسلامية أو الخارجة على الإسلام في هذا الكتاب، وكان حديثنا عن الإسماعيلية والدروز كنموذجين للخروج على الإسلام، وذكرنا هناك بعضاً من أفكار هاتين الفرقتين، وتشترك الفرق الباطنية الأخرى بالكثير من هذه الأفكار الواضح خروجها على الأصول العامة للإسلام، أي أركان الإسلام وما هو معلوم من الدين بالضرورة.

المحتملين رأي ثالث ينسف الإيمان من جذوره. وحتى يتسنى لنا خوض غمار المسألة لا بد من التأصيل لمنهج دقيق للحكم على ذلك التفرق وعلى تلك الفرق:

الأصل في نشوء الفرق التمايز عن الأصل

نهدف من هذا الباب إثبات خطأ جعل أهل السنة والجماعة فرقة، إذ أن معنى كونهم فرقة أنهم تميزوا عن الأصل العظيم: القرآن والسنة بما جعلهم فرقة، ولكوننا ننفي مثل هذا التمايز، فإنه لا يصح اعتبارهم فرقة، بل السنة منهج، وطريقة عيش، لا فرقة أو طائفة!

ورد في معجم مقاييس اللغة: فرقة: الفاء والراء والقاف أُصَيلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمييز وتزييلٍ بين شيئين.[244] فإذا علمت أن أساس قيام الفرقة هو التمايز عن الأصل والخروج عنه بذلك الشيء الذي به أضحت فرقة، كان لنا أن نسأل: **هل يصح تمايز أهل السنة عن الأصل العظيم وهو الإسلام**؟ حيث أننا نفهم كيف تمايزت وتزيلت فرقة المعتزلة، أو فرقة الشيعة عن بعض مفاهيم الإسلام، لتشكل لها خطة معينة (منهجاً، وطريقة) في فهمه أو التعامل معه، خرجت فيها عن الأصل (أي أصل الدين وهو العقيدة)، وأضحت في ذلك الأمر الذي انمازت به "بدعية"، وبقي فيها فيما لم تنماز عنه بقية "سنية" - أي منهجية السنة وطريقتها كما بينا في فصل التعريف من هذا الكتاب- **فكيف نفهم تمايز أهل السنة عن الإسلام**؟!!

الغاية من هذا البحث هو النظر: بم تمايزت تلك الفرق عن الإسلام وبم بقيت في دائرته؟ أي بأي شيء أصبحت بدعية، وبأي شيء بقيت سنية، ثم **بتقريرنا أن دائرة الإسلام لا تكون إلا بالسنة**، كيفما قلبت النظر في كل تعريفاتها السابقة (تعريف المحدثين أو الأصوليين أو الفقهاء أو أنها طريقة العيش أو أنها ما خالف البدعة) فإن لنا بالتالي أن **نقرر أنه لا يصح أن نفصل "فرقة" عن ذلك الأصل العظيم: الإسلام لنسميها فرقة "أهل السنة" لأنه لا معنى لتمايز "أهل السنة" عن الإسلام**! **والذي تشكل السنة جزءاً لا يتجزأ منه**! فالتمايز يكون في البعض الذي أضحت به الفرق بدعية، لا بأي تمايز! وذلك لأننا قررنا أن معنى فرقة أنها تمايزت عن الأصل، ذلك الأصل الذي يجري قياس كل تمايز عنه إليه، لينظر هل يخرج ذلك التمايز تلك الفرقة عن ذلك الأصل خروجاً كاملاً كخروج الإسماعيلية أو البهائية، أم يبقيها في دائرته وفلكه؟ فرب تمايز بدعي، ولكن بدعة دون بدعة، فبدعة مهلكة وأخرى لا تخرج من الدائرة، ورب خروج ظُنَّ أنه بدعياً، ولم يكن كذلك كما سترى!

---

[244] معجم مقاييس اللغة

كذلك من المهم أن نفهم أنه لا يصح أن تنفي فرقة ما أو ينفي مسلم ما انتسابه إلى السنة، خصوصاً وأن تلك الفرق تأخذ بالسنة بحسب فهمٍ (ما) لها، مقتصرة على محدثين معينين، أو كتب معينة، ولكنها لا "ترفض" السنة رفضاً مطلقاً.[245]

وأيضاً لا يصح أن نفرد فرقة ما عن الإسلام فنصفها بـ (فرقة أهل السنة)، كأنما نفسر الماء بالماء، أو نعطي بهذا الخروج عن المنهج القويم مسوغاً لتمايز الفرق الأخرى عن السنة، فيظن مع خروجهم انسلاخهم الكامل عن السنة، وليس هذا بالمستساغ، فالسنة جزء لا يتجزأ من الإسلام، فإذا صح تمايز أي فرقة عن السنة بإنكارها السنة البتة، خرجت أصلا من الإسلام فكفرت! فتفكر بهذا ملياً.

القضية ليست بهذه السهولة

على أن دائرة الإختلاف قد لا تكون دائماً بهذه السهولة، فكما مر معنى قبل قليل: ثمة قضايا يوجد فيها خيط رفيع بين الإختلاف المحمود والإختلاف المذموم.

وعلى الأقل فيما يتعلق بالعقيدة والمنهجية الفقهية فهناك تمايز واضح بين مدرسة أهل السنة بكل مذاهبهم مع مدرسة الشيعة، والخلاف بين أهل السنة في "العقائد" في بعض الفرعيات وكذلك في الأمور الفقهية، بعكس الخلاف مع الشيعة فعقيدتهم مأخوذة من عقيدة المعتزلة [246] [باستثناء ما يتعلق بالإمامة وعصمة الأئمة والمهدي المنتظر] وفقههم مغاير كثيراً في أصوله (لأهل السنة)،[247] وحتى كتب الحديث المعتبرة عند (السنة) لا يُعترف بها عند الشيعة؛ ومنهج الشيعة في إسناد أحاديثهم غير (منهج السنة).[248] **إلا أن الناظر المتفحص يرى أن العقيدة لا يصح أن تتعدد ولا أن تختلف**، فلا أساس لعقيدة الرجعة[249] عند الشيعة مثلاً، فلئن عدها القوم

---

[245] ظهرت في التاريخ الإسلامي مجموعات نفت الأخذ بالسنة نهائياً، تحت حجج مختلفة منها أن القرآن قد طلب منا الاقتصار على الأخذ منه فقط، وحجج أخرى مختلفة أيضاً، وهم يُعرفون بالقرآنيين، وهم خارج نطاق هذا البحث، ولا يمكن بحال إدراجهم ضمن الفرق الإسلامية، فهم خارج الإسلام أصلاً.

[246] ضحى الاسلام: ج 3، ص 267. 268، الطبعة الثالثة. (العلاقة بين الشيعة والمعتزلة وأيهما أخذ عن الآخر رأي خلافي، والشيعة ينفون الأخذ عن المعتزلة).

[247] خلاف الشيعة الفقهي مع بقية المذاهب خلاف يسير لا سيما لدى فقهاء الشيعة الأقدمين كالإمام جعفر، وتتشعب الخلافات كثيراً مع فقهاء الشيعة المعاصرين، وتتركز حول زواج المتعة والتقية والخمس وولاية الفقيه.

[248] مراجعة الأستاذ يوسف السارِيسي لمخطوطة هذا البحث.

[249] مفهوم الرجعة عند الشيعة الاثني عشرية" الإعتقاد بأن الله تعالى سيعيد إلى الحياة قبل يوم القيامة قوماً قد توفاهم في صورهم التي كانوا عليها قبل موتهم، وفي مقدمة الذين يرجعهم الله إلى الحياة الدنيا ثانية: أكثر المظلومين من أئمة أهل البيت تعرضاً للظلم، وأكثر الظالمين لهؤلاء الأئمة عنفاً وشراسة في الظلم والاستبداد! وبعد أن يعز الله الذين ظُلموا، ويذل الظالمين، يتوفاهم ثانية! أما توقيت الرجعة فهو عند قيام مهدي آل محمد (صلى الله على سيدنا محمد وسلم) ومستند رأيهم في هذه العقيدة إلى جانب المأثورات التي رووها عن أئمتهم .هو تفسيرهم الخاص لقوله تعالى: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل* المؤمن 11) وقال الدكتور محمد عمارة:" وعقيدة الرجعة التي قال بها الشيعة كي يبرهنوا على أن إمامهم الغائب سيعود، أو أن بعض الموتى من آل البيت سيبعثون قبل يوم القيامة، هي عقيدة إسرائيلية، أخذها

عقيدة، فهو خطأ في فهم ماهية العقيدة، ولا يجعل منها عقيدة، علاوة على خلوها من الدليل أو شبهة الدليل! أو بنائها على تفسير متعسف لبعض الآيات الكريمة. (وهي ليست موضع إجماع عند الشيعة).[250]

ومع ذلك، فالإسلام لم يترك الناس هملاً في هذه القضايا، فقد وطد أسس إقامة العقيدة على أساس القطعية والصحة والدليل، ورفض التخريص والشك، وَبَيَّنَ الدائرة التي يجوز البحث فيها، وتلك التي يمنع البحث فيها، وسار الصحابة النجب على تلكم الطريقة فلم تفترق كلمتهم. فخطأ منهج المتكلمين، وخطأ طريقة البحث في بعض القضايا يعود على من أخطأ لا على الإسلام ومنهجه.

بعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، واتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول المسلمين في مناظرات مع غيرهم، تسربت إلى الثقافة الإسلامية الكثير من الآراء، بحثها المسلمون ليعطوا رأي الشرع فيها، وتنازعوا في الكثير منها، ونشأت الفرق الإسلامية المتعددة، من أمثال الشيعة والمعتزلة والخوارج والجبرية وغيرها.

لقد غاب عن أذهان الكثير من أهل هذه الفرق وهي تتنازع فيما بينها أيها على الحق في هذه المسألة أو تلك، غاب عن أذهانهم النظر في طبيعة الأفكار التي اختلفوا فيها، أهي من الأفكار التي يترتب عليها الخروج من حظيرة الإسلام إلى الكفر، أهي من الأفكار الأساسية في الإعتقاد، مثل إثبات وجود الله سبحانه أو إثبات صحة نسبة القرآن الكريم لله تعالى، أو القطع بنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو القطع بوجود الجنة ونعيمها والنار وعذابها، أم هي من الأفكار التي يمكن الخلاف فيها، دون أن يترتب على ذلك الخلاف إخراجٌ من الملة، فيبقى الكل متسمين بالاسم الذي سماهم القرآن الكريم به: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداًعَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُواالزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ *﴾ الحج 78، كما غاب عنهم أيضاً: هل يصح إدخال هذه الأفكار في بنيان العقيدة أم لا يصح؟ فهل هي قطعية الثبوت؟ قطعية الدلالة؟ تقوم عليها أدلة تنفي عنها الظنية؟ تخلو من تعارضٍ ما يخل بالفهم؟[251]

الشيعة، بل ولا ينكر متأخرو علمائهم أخذها عن اليهود...) أنظر كتابيْ الدكتور محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 220 و الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، ص 190؛ وعقيدة الرجعة والتقية والبداء ونحوها ليست من أصول المذهب الشيعي.

[250] محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 221

[251] قال الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله: "الخلل الحاصل في فهم مراد المتكلم يحصل من احتمالات خمسة وهي الاشتراك والنقل والمجاز والإضمار والتخصيص، لأنه إذا انتفى احتمال الاشتراك والنقل كان اللفظ موضوعاً لمعنى واحد، وإذا انتفى احتمال المجاز والإضمار أي التقدير كان المراد باللفظ ما وُضع له. وإذا انتفى احتمال التخصيص كان المراد باللفظ جميع ما وُضع له، فلا يبقى حينئذ خلل في الفهم، فيُفهم حينئذ المعنى المراد من الأدلة السمعية، وهذا بالنسبة لغلبة الظن لأنها كافية في استنباط الحكم الشرعي، أي أنه إذا انتفت هذه الاحتمالات الخمسة لم يبق شيء يخل بالظن فيُفهم الحكم الشرعي. أما لعدم الخلل باليقين وهو ما لا بد منه للعقائد فلا يكفي نفي هذه الاحتمالات الخمسة وحدها، أي لا يكفي الاستدلال بالدليل السمعي

ثبت في القرآن الكريم بما لا يدع مجالا لشك وريبة أصول الإعتقاد التالية:

أولاً: يحرم بناء العقيدة بكلياتها وبجزئياتها على الظن، فالناظر المتمعن في العقيدة الإسلامية يرى أن القرآن الكريم حرص أشد الحرص على تنقيتها من الظن، ومن الخرص[252] والشك، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ *﴾ يونس 36 ﴿ أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ *﴾ 66 يونس. وقوله تعالى:﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّالظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ *﴾ الأنعام 116، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ *﴾ الجاثية 32. ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ *﴾ 148الأنعام ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَتَعْلَمُونَ*﴾ الاعراف 33.

ومن هنا يجب على كل مسلم أن يوصل اعتقاده إلى مرحلة القطع أو اليقين أو العلم أو الإيمان . سمها ما شئت فكلها مسميات لمسمى واحد.. وهذه المرحلة لا يمكن الوصول إليها عن طريق الظن أو التقليد، قال تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ*﴾ محمد 19؛ وقوله تعالى ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ*﴾ البقرة 223، وقوله تعالى ﴿اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ*﴾ المائدة 98، فالأمر هنا بالعلم ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَتَعْلَمُونَ*﴾ الاعراف 33. فكلها آيات تمنع بناء العقيدة على الظن وعدم الجزم واليقين. وإذا عاب الله على الكافرين بناء عقائدهم على الظن؛ فهل سيقبل ذلك من المسلمين؟!!

وطلبَ القرآنُ الكريم من خصومه أن يقيموا على عقائدهم الحجج والبراهين وإلا فهم كاذبون، ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن

على العقيدة؛ أي لإفادة اليقين نفي هذه الاحتمالات وحدها بل لا بد من أشياء أخرى معها. فإن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين إلا بعد شروط عشرة وهذه هي الخمسة وانتفاء النسخ، والتقديم والتأخير، وتغيير الإعراب، والتصريف، والمعارِض العقلي. فإذا انتفت هذه العشرة لا يبقى ما يخل باليقين فيفيد الدليل السمعي حينئذ اليقين ويُستدل به على العقيدة، ومن باب أوْلى على الحكم الشرعي، فدلالته حينئذ تكون يقينية يضاف إليها أن يكون كذلك ثبوته يقينياً. والتعارض بين الاحتمالات الخمسة: الاشتراك والنقل والمجاز والإضمار والتخصيص، يقع على عشرة أوجه، وضابطه أن يؤخذ كل واحد مع ما بعده. فالاشتراك يعارض الأربعة الباقية وهي النقل والمجاز والإضمار والتخصيص. والنقل يعارض الثلاثة الباقية وهي المجاز والإضمار والتخصيص. والمجاز يعارض الاثنين الباقين وهما الإضمار والتخصيص. والإضمار يعارض التخصيص. فهذه عشرة أوجه". الشخصية الاسلامية: الجزء الثالث / أصول الفقه للعلامة تقي الدين النبهاني، ص 151

[252] معنى كلمة (خرص): خرص الرجل: قال بالظن والتخمين، حَدَسَ، وخرص الرجل: كذب (المعجم الوسيط 1/ 227) وموقع: "المعاني لكل رسم معنى" على الإنترنت.

كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾*64 النمل، وقال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ*﴾ 75 القصص؛

وأقام القرآن الكريم على كل فكرة من أفكار الإعتقاد ما يجعل المسلم مطمئناً إلى أنه قد وصل إلى الحق المبين، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*﴾ 97 الأنعام) وقال تعالى ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ*﴾ 98 الأنعام، وقال تعالى ﴿وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ*﴾ 126 الأنعام.

ثانياً: يحرم التقليد في الإعتقاد، فيجب أن يتوفر على الإعتقاد الدليل الذي يوصل إلى القطع ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوابُرْهَانَكُمْ *﴾ الأنبياء 24 وقوله تعالى ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *﴾ النمل 64 وقوله تعالى ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ الله وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَالْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ *﴾ يونس 68.[253] ومن هنا يحرم التقليد في

[253] حول بناء العقيدة على الأدلة القطعية الثبوت والدلالة، وبقية قواعد الإعتقاد هذه، يُنصح بالرجوع للكتب التالية: أدلة الإعتقاد لثائر سلامة، "الاستدلال بالظني في العقيدة": فتحي سليم، دار البيارق، وكتاب "خبر الواحد: التصديق به وعدم الجزم في العقائد"، ثابت الخواجا، دار قنديل، وكتاب: الباحث عن الخلافة: السيرة والمسيرة للشيخ تقي الدين النبهاني، تأليف زياد سلامة (الجزء الثاني)، وممن قال ببناء العقيدة على الدليل القطعي وأنها لا تبنى على الدليل الظني: شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت في كتابه"الإسلام عقيدة وشريعة"، الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (العقيدة الإسلامية) والشيخ عبد الحميد السائح، والأستاذ سيد قطب الذي قال في تفسير سورة الفلق:"وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الإعتقاد" وكذلك الشيخ محمد الغزالي في كتابه "السنة بين أهل الفقه والحديث" والشيخ تقي الدين النبهاني، والدكتور عبد الله عزام في كتاب "العقيدة وأثرها في بناء الجيل" حيث قال:" وكذلك فإن علماء الأصول اشترطوا لبناء العقيدة نصوصاً قطعية الثبوت وقطعية الدلالة"، وكذلك الدكتور مصطفى السباعي في كتابه" السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي" حيث قال: " وأما الدعوى بأن الظن في أحكام الدين غير جائز؛ فذلك فيما يتعلق بأصول الدين التي يكفر من يجحدها أو شك فيها، كوحدانية الله وصدق رسوله ونسبة القرآن إلى رب العالمين، وكذلك في أركان الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرهما مما عُلم من الدين بالضرورة، وليس كذلك بالنسبة إلى الفروع، إذ لا مانع أن تثبت عن طريق الظن، بل لا يستطيع هذا المخالف أن يدعي أن أحكام الدين كلها تثبت عن طريق مقطوع به" أما الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي؛ فجاء في كتابه "كبرى اليقينيات الكونية" الصادر عام 1963 في مقدمة الطبعة الأولى: "ثالثاً: عدم الإطناب في ذكر الأمور التي لم يثبت فيها دليل قطعي وبرهان يقيني، بل لعلي لن أتعرض لكثير منها، إذ المجال هنا مختص بتلك الأمور التي قامت على القطع واليقين، فكانت بذلك من مقومات العقيدة التي لا يسع المسلم إنكارها أو تجاهلها، ومن المعلوم أن لليقينيات منهجاً مختصاً بها لا ينبغي أن يستبدل به غيره في سبيل الوصول إليها." وقال في الصفحة 31 في تمهيده للمنهج العلمي في البحث عن الحقيقة ما نصه: "ذلك لأن العلم لا يتولد إلا عن علم مثله، وما كان للظن أن يصلح سبيلاً إلى العلم بحال، وإلا لأمكن لمقدمتين ظنيتين أن تأتيا بنتيجة يقينية وهو من أجلى صور المحالات." وقال في الصفحة 33: "ومن أجل هذا، قرر علماء التوحيد أن من شروط صحة إيمان المؤمن أن يكون قائماً على دعائم من اليقين العلمي المجرد، لا على شوائب من التقليد والإتباع" وكان شديد الصراحة في الصفحة 35 بقوله: "ولكن الصحيح نفسه يرقى في درجات متفاوتة، تبدأ من الظن القوي إلى الإدراك اليقيني، فإذا كانت السلسلة التي توفرت فيها مقومات الصحة مكونة من آحاد الرواة الذين ينقلون الخبر بينهم، فهو لا يعدو أن يكون خبراً ظنياً في حكم العقل، وإذا كانت حلقات السلسلة مكونة من راويين أو ثلاثة رواة، فهو لا يزال خبراً ظنياً، ولكنه ظن قوي يداني اليقين، أما إذا غدت كل حلقة من الحلقات من الكثرة، جموعا يطمئن العقل إلى أنها لا تتواطأ على الكذب، فإن الخبر المروي يكتسب عندئذ صفة اليقين، وهو ما يسمى بالخبر المتواتر، فأما الظني من الخبر الصحيح فلا يعتد به الحكم الإسلامي في بناء العقيدة، لأنه إنما يفيد الظن، ولقد نهى القرآن [في مجال البحث في العقيدة] عن إتباع الظن. كما رأيت ولكن يعتد به في نطاق الأحكام العملية، لثبوت الخبر المتواتر والدليل القطعي على أن المسلم مكلف – بالنسبة للسلوك العملي- بالاعتماد على الظني من الخبر الصحيح ولذلك صح أن تستند الأحكام الشرعية إلى الأحاديث

الإعتقاد، وبالتالي لا بد لكل مسلم من أن يصل إلى اعتقاده بالمحاكمة العقلية أو بالتسليم بما جاء في النقل بشرط أن يرد بأدلة قطعية الثبوت قطعية الدلالة؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّه قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ *﴾ البقرة 170 وقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَيَهْتَدُونَ*﴾ المائدة 104.

فقوام العقيدة: القطع، ولا يدخل فيها إلا ما قُطع به وما قام على دليل وانتفت عنه صفة الظنية، **سواء كان القطع بوجوده حين يكون البحث: الوجود المقابل للعدم، كالقطع بوجود الله. أو القطع بمعناه حين يكون القطع المطلوب هو القطع بالمعنى**، مثل القطع بأن الله يحيي ويميت، وهنا ليس المطلوب الإيمان أو القطع بكيفية الإحياء، بل بمجرد أنه تعالى يحيي ويميت، لذلك فرْق عظيم بين أن تأتي فرقة وتقول: أؤمن أن الله عالم، وهو ما طلب الإيمان به وجوداً، ثم تخوض في معنى كونه عالماً، فتشطط، وتقول بأن نتيجة بحثها معنى العلم كذا، فهذا التأويل لا يسوغ إدخاله في العقيدة، وبالتالي كان من الخطأ أن يقال: العقائد الإسلامية تختلف، **بل العقيدة واحدة وهي المقطوع بها**، والإختلاف كان في جزئيات وتفاصيل **لم يكن ينبغي البحث فيها**، أي هو خوض في دائرة ما لم يُطلب الإيمان به أصلا، فينتقل البحث للتساؤل: هل نتيجة البحث تقع في دائرة ما به يخرج المرء من الإسلام إلى الكفر؟

الأفكار الأساسية في الإعتقاد:

السمة الأساس لكل فكرة تنتمي إلى منظومة العقيدة الإسلامية هي أنه لا بد أن يتحقق فيها القطع واليقين، وهنا تنقسم الأفكار إلى أفكار أساسية في الإعتقاد، تلك التي أمر رب العزة سبحانه أن يؤمن بها الرسول والذين آمنوا معه، وقرنها بعضها مع بعض في أغلب المواضع من القرآن الكريم، وجمعها مع بعضها أيضاً الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل عليه السلام، ومن هذه الأدلة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً*﴾ النساء 136، وقال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الصحيحة وإن كانت آحاداً، وذلك حيطة في الأمر وأخذاً بالحزم." ونقل الشيخ عبد الحميد السائح عن كتاب شرح مسلم الثبوت أن الأكثر من أهل الأصول، ومنهم الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة ومالك والشافعي على أن خبر الواحد، إن لم يكن المخبر معصوماً نبياً، لا يفيد العلم مطلقاً، وكذلك نقل السائح عن الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي قوله: واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل، هل يوجب العلم والعمل جميعاً، أم يوجب العمل دون العلم؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم أنه يوجب العمل دون العلم؛ وهو قول الشافعي، وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم، إلا ما شهد به على الله، وقطع العذر بمجيئه قطعاً، ولا خلاف فيه، وقال قوم كثير من أهل الأثر، وبعض أهل النظر أنه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعاً، ثم قال. ابن عبد البر. والذي نقول به أنه يوجب العمل به دون العلم، وعلى ذلك أكثر العلم.

الْمَصِيرُ*﴾ البقرة 285، وأما حديث سؤال جبريل للرسول عليهما السلام فعَنْ عَامِرٍ أَوْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فِي غَيْرِ صُورَتِهِ يَحْسِبُهُ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ وَضَعَ جِبْرِيلُ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيْ النَّبِيِّ ﷺ وقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ الله مَا الإسلام؟ فَقَالَ: أَنْ تُسْلِمَ وَجْهَكَ لِلَّهِ وَأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ قَالَ فَإِذَا فَعَلتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ؛ قَالَ: نَعَمْ؛ ثُمَّ قَالَ مَا الإيمان؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ؛ قَالَ نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ؛ قَالَ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْسَنْتُ؛ قَالَ: نَعَمْ...).[254] فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى تمثل القضايا الأساسية في الإعتقاد، والخط الأحمر الفاصل بين الإيمان والكفر، وهي الخط الأخضر الذي ينقل الإنسان من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

على أن أفكاراً أخرى قطعية الثبوت والدلالة قد وردت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، تدخل أيضاً في بنية العقيدة، لا بد من الإيمان بها حتى يصير الإنسان مؤمناً، وهي الإيمان بالجنة والنار والحوض، وصفات المولى سبحانه (أي الإيمان بأن الله عليم وأن الله رحيم وما إلى ذلك) وغير ذلك من قضايا الإعتقاد الثابتة بالقطع في الشرع (لا البحث في شرح معانيها بل الإيمان بالرحمن القدوس الحي...) فهذان النوعان من الأفكار هما فقط ما يجب أن يدخل في بنية عقيدة المسلم، الأفكار الأساسية الستة (أركان الإيمان)؛ وما ثبت بالقطع في الكتاب والسنة.

الأفكار الظنية المتعلقة بالإعتقاد:

ولكن المتتبع للكتاب والسنة يرى نوعاً آخرمن الأفكار التي تعتبر من القضايا المتعلقة بالإعتقاد، لأن الموقف المطلوب اتخاذه حيالها هو موقف التصديق، وذلك مثل مسألة: هل رأى الرسول ﷺ ربه ليلة معراجه الشريف؟ أم لم يره؟ فهي مسألة متعلقة بالإعتقاد (التصديق)، جاءت أدلتها ظنية في ثبوتها أو دلالتها، أي إن الظن تسرب إليها، مما يجعل موقف المسلم تجاهها هو التصديق بأحد القولين بترجيح أحدهما بناء على غلبة الظن، ولكن، ونظراً لتشديد النكير في القرآن الكريم على إتباع الظن في الإعتقاد، فإن الموقف حيال هذه الأفكار هو التصديق بها وتحريم إيصالها إلى مرتبة القطع، وذلك لأن القطع بها يفضي إلى تكفير المخالف لها، ولكنها قضايا ظنية في ثبوتها أو دلالتها، وبالتالي فأنّى يبنى التكفير على الظن؟

تسمى مثل هذه القضايا بالقضايا المتعلقة بالإعتقاد، وهي من مثل مسألة حدود عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة، وأحاديث الآحاد ظنية الثبوت التي

---

[254] مقطع من حديث طويل ورد في مسند الإمام أحمد (مسند الشاميين) ورقمه 16851.

تحدثت عن الغيبيات، ما لم تتواتر، وما إلى ذلك من المسائل التي يحتمل أن يكون رأي أي من الفريقين المتنازعين فيها صواباً والآخر خطأ، وبالتالي فلا يجوز أن يبنى عليها تكفير لأي من الفريقين للطرف الآخر.

هل اختلف الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان في مسائل عقدية؟

شهد الصحابة رضوان الله عليهم وأهل القرون الثلاثة الأولى خلافات في المجالات الفقهية والسياسية وفي مجال تفسير القرآن الكريم واعتبار صحة بعض الأحاديث النبوية، فهل اختلفوا أيضاً في تفسير بعض المسائل العقدية؟

نعم شهدوا بعض الإختلاف في بعض المسائل العقدية، ولكن الخلاف كان قليلاً ومحصوراً في بعض المسائل، لأنهم كانوا حديثي عهد بعصر النبوة والاقتباس من مشكاة النبوة، ولن المسائل الكلامية التي نشأت فيما بعد لم تكن لتنشأ في ذلك العهد، لأن من أسباب نشوئها الاحتكاك بالديانات والمذاهب والفلسفات والأفكار الأخرى، الأمر الذي تم بعد عصر اندفاع الفتوحات والجهاد ونشر الدعوة الإسلامية، فالبيئات الجديدة أوجدت الحاجة لبحث أعمق في بعض المسائل مما أوجد فيما بعد ما عُرف بعلم الكلام الذي من شأنه الدفاع عن الإسلام في وجه تلك الديانات والفلسفات.

على أية حال من المسائل التي اختلف الصحابة فيها:

1. مسألة رؤية الله تعالى، سواء في الدنيا أو الآخرة.

اختلف المسلمون في رؤية الله تعالى في الدنيا إلى قولين: فذهبت طائفة إلى أنها واقعة في الدنيا والآخرة، وهم مختلفون كذلك إن كانت خاصة في الدنيا بالرسول ﷺ أم أنها قد تقع لغيره، والأغلب أنها خاصة بالرسول محمد ﷺ، وجمهور المفسرين أن الرؤية تكون يوم القيامة؛ وخالف في ذلك الجهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية؛ حسبما ذكر الإمام الطحاوي[255] قال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: "وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، وذهب جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمداً رأى ربه. وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون. [256]

2. فكرة الإرجاء: وسط النقاش الذي دار حول مرتكب الكبيرة إن كان كافراً أو مؤمناً أو في منزلة بينهما "جهرت هذه الفرقة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومن

---

[255] أبو جعفر الطحاوي (صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي: العقيدة الطحاوية، ص204.

[256] كنتُ قد ذكرت وجهات نظر علماء المسلمين المختلفة وأدلة كل فريق في مسألة الروية هذه، ولكني وجدتُ أن الأمر سيعني الإطالة لغير ذوي الاختصاص، فاقتصرت على هذه اللمحة السريعة، وقد توسعت بعض الشيء في المسألة في كتابي الآخر: أدلة الاعتقاد، فراجعه.

المنتمين لهذا التيار قال إن أمر مرتكب الكبيرة يرجأ إلى الله تعالى يوم القيامة، وقال الشيخ محمد أبو زهرة: والبذرة الأولى التي نبتت منها هذه الفرقة كانت في عصر الصحابة في آخر عصر عثمان رضي الله عنه، فإن القالة في حكم عثمان وعماله قد شاعت وذاعت؛ وملأت البقاع الإسلامية، وظهرت الفتن التي انتهت بقتله، وفي أثناء ذلك اعتصمت طائفة من الصحابة بالصمت وتجملت بالامتناع عن الاشتراك في تلك الفتن التي مرج المسلمون فيها مرجاً شديداً وتمسكوا بحديث أبي بكر عن النبي ﷺ إذ قال عليه الصلاة والسلام:" ستكون فتن: القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض؛ فليلحق بأرضه، فقال الرجل: يا رسول الله من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة" وامتنعت تلك الطائفة عن الخوض في الفتن التي حدثت في عهد عثمان وانتهت بقتله، وكذلك كان حالهم حال الفتنة التي وقعت أيام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه".[257]

وليس معنى صمتهم موافقتهم على الفكرة أو اختلافهم فيها، وإنما خشيتهم الفتن، فالخلاف جرى في عهد الصحابة لا بينهم.

3. فكرة الإمامة وإمامة علي: كذلك جرى اختلاف في مسألة انتخاب وبيعة الخليفة الأول أبي بكر الصديق، وظهرت أقوال بين الصحابة حول أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة، وقد طويت صفحة هذه الخلافات في هذه المسألة سريعاً فور انتخاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه).[258]

4. مسألة مرتكب الكبيرة وظهرت في جيل التابعين: فمن المعروف تاريخياً أنه جرت مناقشات بين التابعي الحسن البصري [21 .110هـ= 642 .728م] وبعض تلامذته حول هذه المسألة أمثال واصل بن عطاء [80ـ131هـ= 699 ت 748م]، وعمرو بن عبيد [80 .144هـ= 699ـ761م] فهما ايضاً من التابعين.

5. وأنكرت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه، وأثبته غيرها من الصحابة.[259]

لا بد من سؤال: هل ما يسمى بفرقة أهل السنة والجماعة (السلفيون) يحققون مفهوم ما عليه (أنا واصحابي)، فالكثير من التابعين جاء بتفسيرات وتأويلات جديدة اختلفوا فيها مع غيرهم، أمثال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، كما رأينا قبل قليل، وكذلك يُعتبر الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [79 .122هـ= 698 .740م] من التابعين، وغيرهم كثير، أليس هؤلاء وأمثالهم من أهل القرون المفضلة (خير القرون)، وهم يخالفون في بعض أفكارهم بعض الصحابة والتابعين، ولماذا لا نعتبر فهم هؤلاء أيضاً يدخل ضمن قوله عليه السلام (ما أنا عليه

---

[257] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج1، ص 133

[258] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج1، ص35 [ونقل هذا القول أبو زهرة عن ابن أبي الحديد الذي قال عنه "الشيعي المعتدل"]. وأنظر أيضاً محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص 200

[259] أنظر كلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" 492/12 و 33/20

وأصحابي)؟! أم جرى تفصيل تعريف (أهل السنة والجماعة) ليخرج أمثال هؤلاء منه واعتبارهم من أهل البدع؟!

6. وهل الموتى يسمعون أم لا؟ ذهب إلى نفي سماع الأموات للأحياء، وهو رأي السَّيدة عائشة وابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - وغير واحد من الصحابة وهو مذهب الجمهور، وهو قول ابن عابدين، وابن الهمام، وابن نُجَيم، والحصفكي، وغيرهم من أئمة الأحناف، والمازري والباجي والقاضي عياض من المالكية، والقاضي أبي يعلى من الحنابلة، ومالَ إليه الشيخ الألباني في تحقيقه "للآيات البيّنات في عدم سماع الأموات"، ورجَّح ذلك أيضًا ابن باز وابن عُثيمين"[260]

سيعترف بعض السلفيين بوجود أمثال هذه الخلافات، ولكنه سيقلل من شأنها لإثبات وجهة نظره أن لا خلاف في العقيدة في القرون الخيرة الأولى، وأن القائلين بأي رأي آخر هم (مبتدعة ومحدثون في هذا الدين) قال الدكتور عبد الرحمن البراك: "الصحابة لم يختلفوا في مسائل الإعتقاد، ولم يختلفوا في صفات الله... وكذلك لم يختلفوا في القدر وأفعال العباد وفي حكم أهل الكبائر، وهذا الاتفاق لا يمنع أن يختلفوا في بعض الجزئيات، كمسألة رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج، كما اختلفوا في تفسير بعض الآيات، هل هي من آيات الصفات؟ كقوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾. [البقرة: 115]، فالأكثرون قالوا: المراد بالوجه الجهة، وهي القبلة، فوجه الله قبلة الله، كما قال مجاهد. وقال بعض أهل السنة: (وجه الله) هو وجهه الذي هو صفته سبحانه وتعالى، وليس ذلك اختلافاً في إثبات الوجه لله سبحانه وتعالى، فإنه ثابت بالنصوص التي لا تحتمل، كقوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: 27].. اهـ[261]

الخروج من الإسلام إلى الكفر! ضوابط الحكم على أبحاث الفرق:

المرتد هو من كفر بعد إسلامه، ويكفر المسلم بممارسة أحد الأمور الأربعة التالية: **الشك أوالإعتقاد أوالفعل أوالقول**. وحتى نحكم على فرقة ما بأنها فارقت الإسلام إلى غيره أو بقيت في دائرة الإسلام، لا بد من الضوابط التالية:

أولاً: **(الشك)**: إذا أفضى بحث الفرد أو الجماعة إلى الشك ولو في قضية واحدة مما طلب الإيمان به طلباً جازماً أو بدليل قطعي، فإنه يخرج من الإسلام (الشك أو الظن في وجود ما قطع الدليل القطعي بوجوده، أو الشك أو الظن بمعنى ما قطع الدليل القطعي بمعناه، لا الشك أو الظن في معنى ما لم يرد الدليل القطعي بشرح معناه بشكل قطعي ينفي كل معنى مخالف) كمن

[260] موقع الألوكة الشرعي هل الموتى يسمعون كلام الأحياء؟ الشيخ ندا أبو أحمد 2014/3/27

[261] إسلام وايب،مركز الفتوى هل وقع الخلاف في مسائل العقيدة، سؤال رقم 132935، تاريخ 2010/3/8 يراجع كتاب: ضوابط التعامل مع صفات الله تعالى للكاتب: ثائر سلامة.

يشك في وجود الله تعالى أوالشك في كون الجنة أو النار حقيقتان، وأنهما دار جزاء؛ بما لا مجال فيه للتأويل.

ثانيا: **(الإعتقاد)** يخرج المرء من الإسلام إذا أفضى بحثه إلى **الإعتقاد والإيمان** بما طلب منا إنكاره والكفر به بشكل جازم (كمن يعتقد بالنجوم مثلا نفعاً أو ضراً أو أنها ذات تأثير على عمل الإنسان ومستقبله) أو **عدم الإعتقاد والإيمان** بما أمرنا بشكل جازم أن نعتقده، كمن لم يعتقد بوحدانية الله، أو عدم اعتقاد ما دل الدليل القاطع عليه، كمن لم يعتقد بنبوة محمد ﷺ، أو بالقرآن، بما لا يحتمل التأويل، وإذا أفضى بحثه إلى تعارض لا يحتمل التأويل مع قطعي، كمن أفضى بهم بحث الصفات إلى تجسيم المولى عز وجل، إذا اعتقدوا بلوازم الجسمية، مخالفين أصل نفي مشابهته للمخلوقات -وهو قطعي- فيكفر.

ثالثاً: **(الفعل)** القيام بفعل مكفِّر لا يحتمل التأويل كالسجود لصنم أو بناء كنيسة أو الصلاة في كنيسة مشاركاً النصارى في صلاتهم وعبادتهم وممارسة نفس طقوس صلاتهم.

رابعاً: **(القول)** قول ما يخرج من الإيمان بحيث لا يحتمل قوله التأويل، فيكفر به؛ كسب الذات الإلهية في موقف لا ضغط فيه ولا إكراه.

على أن الحكم بكفر من صدرت عنه إحدى هذه المكفرات يحتاج إلى تثبت لتنتفي شبهة الضغط والإكراه والتأويل، والأصل حصر صلاحية إصدار الحكم بكفر الأشخاص بالمحاكم الخاضعة لسلطان إمام المسلمين، وأن لا تُتْرك لعوام الناس، وقد كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم يبحثون عن أمر واحد يدرأون به رمي المرء بالكفر مقابل ما يجتمع لهم من أمور كثيرة لو عرض أقلها على بعض أهل زماننا لما تورعوا عن أن يجعلوا جهنم مثوى لهذا المرء، قال الزرقاني في مناهل العرفان: ولقد قرَّر علماؤنا أن الكلمة إذا احتملت الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ثم احتملت الإيمان من وجه واحد، حُملت على أحسن المحامل وهو الإيمان. وهذا موضوع مفروغٌ منه ومن التدليل عليه. وقال صاحب مرقاة المفاتيح: وحاصل كلامهما نعوذ بالله تكفيره رضي الله عنه (يعني أُبَيّا بن كعب) وهذه نزعةٌ جسيمةٌ وجرأةٌ عظيمةٌ، فإن عبارة آحاد الناس إذا احتملت تسعة وتسعين وجهاً من الحمل على الكفر. ووجهاً واحداً على خلافه لا يحل أن يحكم بارتداده.[262]

ولا بد من ملاحظة مهمة هنا هي أننا نضبط أحكام الكفر والإيمان بالنسبة للناس في الحياة الدنيا لما يترتب عليها من أحكام شرعية عملية كأحكام المرتد والزواج والطلاق والخلافة والعزل من المناصب التي تشترط الإسلام وما شابه، ولا نبحث في هل هو مؤمن عند الله أو هل هو كافر عند الله، أو هو من أهل الجنة أو أهل النار، فالله وحده الذي له أن يفصل بين الناس، ويكون هذا يوم القيامة.

---

[262] مرقاة المفاتيح لملا علي القاري 4/ 709

فإذا تبين لك ذلك، علمت أن مرادنا هو بحث ما من شأنه أن يجعل التمايز بين تلك الفرق وبين الأصل تمايزاً مذموماً يخرجها إلى دائرة الكفر أو أن يكون التمايز مما لا يخرجها إلى تلك الدائرة، فتبقى في الأصل العام وهو أصل الإسلام، ذلك الأصل الذي تكون السنة فيه جزءًا لا يتجزأ، فيصلح معه القول حينها بأن تلك الفرقة لم تخرج عن دائرة السنة إلا بتلك الأمور البدعية التي انتهجتها مخالفة طريقة الرسول ﷺ!.

فقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، دينا قِيَمَاً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، وأمر المسلمين أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ * البقرة 164، حتى يتوصلوا إلى حقيقة ﴿أفي الله شكٌ فاطرِ السموات والأرض *﴾ إبراهيم 10، فتطمئن قلوبهم إلى الإيمان بوجود الله سبحانه خالق الكون، ومن ثم فإن الحق سبحانه وتعالى قد جعل القرآنَ الكريم معجزة الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ليدلل بها على صدق نبوته، وآمن المسلون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

والعقيدة الإسلامية عقيدة عقلية تتفق مع الفطرة، سهلة، يستطيع المسلم الوصول إلى حقائقها من غير كبير عناء، فتستقر بين جوانحه لتشكل له قيادة فكرية تقوده في الحياة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *﴾ الروم 24.

وجوب اعتماد السنة والأخذ بها، وتحريم نبذها أو تركها:

كانت هذه الفرق تنشأ وتخرج من رحم الأمة الإسلامية، فهي فرق والأمة الإسلامية هي الأصل، الأمة الإسلامية درجت على اتخاذ السنة منهج حياة، **فالسنة جزء لا يتجزأ من إسلامها، والسنة ليست أمراً فرعياً بسيطاً يمكن أن يُغض الطرف عنه، فيكون المسلم مسلماً وهو ينكر السنة أو ينأى عنها بعيداً!! لا يمكن ذلك**!، فالله تعالى جعل السنة شطر الإسلام بالدليل القطعي، والاقتصار على الكتاب دون السنة رأي الخارجين على الإسلام، قال تعالى:[وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا *] الحشر 7 وقال تعالى:[مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ *] النساء

80]، وقال تعالى:[فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *] النور 63 وقال:[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ*] الأحزاب 36 وقال:[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا*] النساء65 وقال: [فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ *] النساء ،59، **والرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرد إلى سنته**، وقال:[قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ*] آل عمران 32 وقال: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ*] آل عمران 31.

فهذه النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة، صريحة في وجوب الأخذ بالسنة كالأخذ بالكتاب، ومنكر السنة كافر قطعاً، فيجب الأخذ بالسنة كالأخذ بالقرآن، سواء بسواء من غير أي فرق بينهما.

ولا يجوز أن يقال عندنا كتاب الله نأخذ به؛ لأن ذلك قد يفهم منه ترك السنة، بل لا بد من أن تقرن السنة بالكتاب، وقد نبه الرسولﷺ إلى ذلك في حديثه، فقد ورد أن النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ».[263] وروي أنه عليه السلام قال: «يُوشِكُ أَحَدُكُمْ يَقُولُ: هَذَا كِتَابُ اللَّهِ، مَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ أَحْلَلْنَاهُ وَمَا كَانَ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلاَ مَنْ بَلَغَهُ عَنِّي حَدِيثٌ فَكَذَّبَ بِهِ، فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِي حَدَّثَهُ» أخرجه ابن عبد البرّ[264].

فالسنة دليل أصل قطعي كالقرآن سواء بسواء، وما ثبت عن الرسول ﷺ من قول أو فعل من السنة دليل أو أمارة دليل على الحكم الشرعي، **والإسلام سنن كاملة كالمحجة البيضاء ليست بحاجة لمن يكملها أو يزيد عليها أو ينقص منها، فالخروج عليها أو إدخال غيرها فيها بدعة، وهكذا أينما قلبت النظر وجدت السنة جزءاً لا يتجزأ من الإسلام،**

فلا معنى للقول: إسلام سني، وإسلام غير سني، وهذا هو مدلول قولنا أهل السنة، كأننا نقول: يسوغ أن يكون غير السني مجافياً للسنة!

فالسنة ليست فرقة ولا طائفة، ولا يكون المسلم إلا سنياً!.

لذلك لا يصح وصف التمسك بالسنة بأنه افتراق، (وهو مدلول قول: فرقة أهل السنة) لأن التمسك بالسنة أصل ثابت بالإسلام، ولا يصح أن يقال: أهل السنة فرقة أو طائفة، فالأصل أن يتمسك كل مسلم بالسنة، كيف لا وقد أُمِر بذلك في محكم التنزيل، وبين الله تعالى أن السنة مبينة للقرآن، وهي نصف الإسلام، لذلك فلا يصح وصف الأمة بأنها فرقة وهي تتمسك بمنهج السنة، نظير تسمية المعتزلة بأنها فرقة، والشيعة بأنها فرقة، وهكذا، **لأنه صح تسميتهم بالفرق لتمايزهم عن الأصل بأمور بدعية في منهج التعامل مع الأصل.**

---

[263] أخرجه ابن ماجة برقم 12 و 3193والترمذي برقم 2663و2664وأبو داود 4604و 4605.

[264]الشخصية الإسلامية، الجزء الثالث "أصول الفقه" للقاضي تقي الدين النبهاني

وفي الوقت نفسه استمرت الأمة بعطائها العلمي فكان الفقهاء والمحدثون، والأصوليون، والعُبَّاد والمجاهدون وعامة الناس هم مادة الإسلام، وسواد الأمة الأعظم، كانوا يرون هذا كله، ويخرج منهم من يفند هذا المذهب وهذا الرأي أو ذاك، وخاصة العلماء، فكان من الطبيعي أن ينزع قوم من الأمة إلى ردها إلى سنة النبي ﷺ وطريقته التي هي المحجة البيضاء، **فتسمى المحدثون ابتداء باسم أهل السنة**، منهجاً، وغلب عليهم وصف: أصحاب الحديث، في أوائل القرن الثالث الهجري، ثم ظهر السادة الأشاعرة وتسموا باسم أهل السنة والجماعة بصفتهم **فرقة**، **فكانت تسمية أهل السنة منهجاً صحيحة، وتسمية أهل السنة فرقة خطأ جسيماً**.[265]

استثمار المصطلح سياسياً في العصر الحديث:

أثناء الحرب العالمية الأولى وعندما كانت الدول الغربية تخطط لإسقاط الدولة العثمانية والقضاء على وحدة المسلمين من خلال هدم مؤسسة الخلافة، قامت الدول الاستعمارية الكبرى آنذاك بالاتفاق فيما بينها على تقسيم العالم الإسلامي لأهداف كثيرة، منها سهولة احتوائه وإبقائه تحت السيطرة، وتسهيل نهب ثرواته، والقضاء على ما يجمع هذه الأمة في كيان واحد وهو الإسلام الذي كان العالم الغربي يناصبه العداء منذ قرون طويلة، - لا نبعد كثيراً إن قلنا بأنها تصل إلى طرد الرومان من هذه البلاد في أعقاب معارك اليرموك الخالدة، وتتوج الصراع الإسلامي الغربي بالحروب الصليبية - لقد قررت الدول الاستعمارية تقسيم بلاد العرب في القسم الأسيوي

[265] هذا الموضوع هام، ويستحق إفراده ببحث مستقل، ولكنَّا هنا آثرنا استعراض المسألة بشكل موجز يفي حاجات هذه الدراسة، ومن الكتب المهمة في هذا الموضوع "السنة ومكانتها في التشريع: مصطفى السباعي".

باتفاقيات سايكس - بيكو، وكانت قد عملت من قبل على زرع عشرات المحميات والمشيخات والإمارات على امتداد بحر العرب، وبعد أن استقرت السياسة العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين للولايات المتحدة الأمريكية، قررت إعادة رسم خرائط العالم، ومنه على وجه الخصوص العالم الإسلامي، من هنا كشفت أمريكا عن مخططاتها هذه فيما عُرف بخرائط بريجينسكي وبرنارد لويس.

عام 1980 وأثناء اشتعال الحرب الإيرانية - العراقية صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي بريجنسكي "إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن هي كيف يمكن تنشيط حرب خليج ثانية تقوم على هامش الحرب الخليجية الأولى تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود سايكس بيكو".

وفى عهد جيمي كارتر الذى كان رئيساً لأمريكا فى الفترة من 1977- 1981 تم وضع مشروع التفكيك، الذى وضعه "برنارد لويس" المستشرق الأمريكي الجنسية، البريطاني الأصل، اليهودي الديانة، الصهيوني الانتماء الذى وصل إلى واشنطن ليكون مستشارًا لوزير الدفاع لشئون الشرق الأوسط. وهناك أسس فكرة تفكيك البلاد العربية والإسلامية، ودفع الأتراك والأكراد والعرب والفلسطينيين والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضًا، وهو الذى ابتدع مبررات غزو العراق وأفغانستان.

وضع "برنارد لويس" مشروعه بتفكيك الوحدة الدستورية لجميع الدول العربية والإسلامية، وتفتيت كل منها إلي مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وأوضح ذلك بالخرائط التى أوضح فيها التجمعات العرقية والمذهبية والدينية والتى على أساسها يتم التقسيم؛ وسُلِّم المشروع إلى بريجنسكي مستشار الأمن القومي في عهد جيمي كارتر والذى قام بدوره بإشعال حرب الخليج الثانية حتى تستطيع الولايات المتحدة تصحيح حدود سايكس بيكو ليكون متسقاً مع المصالح الصهيو - أمريكية. وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع وفي جلسة سرية عام 1983م على مشروع برنارد لويس، وتمَّ تقنين المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية المستقبلية وهى الاستراتيجية التى يتم تنفيذها وبدقة وإصرار شديدين ولعل ما يحدث فى المنطقة من حروب وفتن يدلل على هذا الأمر.[266]

استخدمت أمريكا لتحقيق هذه المخططات كل الوسائل الممكنة ومنها إثارة النعرات الطائفية والإقليمية والمذهبية والدينية والقومية، وكان أبرزها **إشعال الفتيل بين السنة والشيعة** في

---

[266] أنظر المواقع التالية على الإنترنت:

المركز العربي للدراسات المستقبلية: سايكس .بيكو (2) يرسم خريطة الشرق الأوسط الجديد 2011/6/2 الكفاح العربي .المحرر السياسي.

موقع: ثورات وحقائق سرية: إعلام عربي بديل 2011/5/6

موقع المهندس محمد النوايسة: حتى لا ننسى مخطط برنارد لويس لتفتيت العالم الإسلامي 2011/8/31 بقلم فتحي شهاب الدين.

موقع: اليوم السابع: بقلم صفاء كاشور 2016/2/28

موقع سبلة عُمان: الخرائط الكاملة لتقسيم الدول العربية والإسلامية (مخطط برنارد لويس). وغيرها من المواقع.

أماكن وجودهما في العراق خصيصاً، ومن هنا نفهم التضييق الشنيع والشديد ضد (أهل السنة) هناك من خلال الميليشيات الشيعية التي سهُل استثمار مشاعرها المستفزة والمؤذية والمقرفة ضد (أهل السنة)، وقد تتنادى الكثير من فرق الشيعة ومليشياتها ضد (أهل السنة) بحجج تاريخية كالثأر للحسين ومظالم آل البيت التي حدثت في القرن الهجري الأول.

ويتم النفخ في الصراع المذهبي في دول الخليج العربي لا سيما في البحرين بين (السنة) والشيعة. كذلك جرى النفخ في الخلافات المذهبية في اليمن بين (الحوثيين / الزيديين) وبقية مكونات اليمن من (السنة / الشافعيين).

وبقصد إثارة النعرات الدينية تمهيداً لتقسيم بلاد المسلمين؛ كثيراً من يتم افتعال خلافات بين المسلمين والمسيحيين لا سيما الأقباط في مصر يبلغ أحياناً حد القتل والتفجير، ولم تغب علامات الاستفهام عن الكثير من هذه الحوادث كتفجير كنيسة القديسين في الإسكندرية في مصر بتاريخ 2011/1/1 وبعد الثورة المصرية ذلك العام ظهرت على صفحات الجرائد المصرية مستندات تجزم بضلوع وزير الداخلية المصري آنذاك حبيب العدلي في التفجير وأن التفجير جرى بالتعاون بين الداخلية وأحد المعتقلين النافذين في إحدى الجماعات (المتطرفة) ويدعى أحمد محمد خالد.[267]

تم أيضاً استثمار الخلافات القومية في العالم الإسلامي ومنه العالم العربي كالصراع العربي . الكردي، والصراع العربي .الأمازيغي، إضافة إلى الصراع العربي (الخليجي) الإيراني، الذي يتم أحياناً بخلفية قومية أو طائفية.

علينا أن نعي أن إثارة هذه النعرات الطائفية والتفريق بين المسلمين لا يخدم إلا أعداء هذه الأمة التي من شأنها تفتيت الأمة الإسلامية ورسم خرائط جديدة للمنطقة.

النتيجة والخلاصة:

بعد هذا البحث في مفهوم الفرق والجماعة والسنة، وما نشأ في العالم الإسلامي من فرق وجماعات وما بنت عليه قناعاتها وأفكارها، وما ميزها عن غيرها، خرجنا بالنتائج التالية:

1. من الخطأ أن تسمي جماعة من المسلمين نفسها بـ(أهل السنة والجماعة) وأن يعتبر عامة المسلمين ممن لم ينحازوا لفرقة معينة؛ فرقة كباقي الفرق التي شهدها العالم الإسلامي، **بل السنة منهج وطريقة عيش، واقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام وبعد عن البدع، وكل مسلم يجب أن يكون سنياً وكل المسلمين أهل السنة**. فمن الخطأ أن يُنظر إلى أهل السنة على أنهم

---

[267] موسوعة ويكيبيديا

فرقة من فرق الأمة الإسلامية (أو طائفة من الطوائف)، بل هم سواد الأمة الإسلامية، ومادتها، وسر حياتها، فـ**الإسلام هو أهل السنة، وأهل السنة هم الإسلام منهجاً لا فرقة**.

2. يمكن النظر للفرق الأخرى على أنها خرجت عن مفهوم السنة بأحد طريقين:

أ- إما بالدخول في البدعة.

ب- وإما بالابتعاد عن النهج والطريقة التي رسمها الحبيب المصطفى ﷺ، لذلك يبقى النهج والطريقة، والمفاهيم الصافية التي تَرَكَنَا عليها رسولُ الله ﷺ هي الإسلام وهي طريقة الرسول ﷺ أو سنته، وبالتالي فليس في هذا المفهوم ما يخدم قَصْرَهُ على فرقة أو طائفة، فالسنة جزء لا يتجزأ من الإسلام!

فاتصاف المسلم بأنه من أهل السنة من باب أنه على منهج الرسول ﷺ لا على أساس أنه ينتمي لفرقة، فأمر عظيم وصحيح، ولا غبار عليه لأنه ينتسب إلى سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ويعمل بها، ويحييها، ويخالف أهل البدع، ويتمسك بالسنة، التي هي طريقة العيش كما أمر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أمراً واجباً. **لذلك فلا بد أن يكون كل مسلم على وجه الأرض من أهل السنة، ومن أخرج نفسه من أهل السنة فقد كان من أهل البدعة**.

3. كما أنه لا يستساغ أن يقال مذهب الشافعي الإسلامي ومذهب الأحناف الإسلامي، وكذلك عن سائر المذاهب الفقهية، لأن كل هذه المذاهب إسلامية؛ فالإضافة لا معنى لها؛ وبالمثل فأن يقال فرقة أهل السنة لا يستساغ! وهي إضافة لا معنى لها! فتوصيف فرقة بأنها (أهل السنة) إن هو إلا كتفسير الماء بالماء، ويذكرنا بقول الشاعر:

"كأننا والماء حولنا **** قوم جلوس حولهم ماءُ"

فالإسلام يعتبر السنة بحسب تعاريفها السابقة ومفهومها أصلاً أصيلاً من مفاهيم الإسلام؛ وجزءاً لا يتجزأ من الاسلام، فَجَعْلُ أهل السنة فرقة تفسيرٌ للماء بالماء.

4. إن جعل التمايز بين أهل السنة وبين غيرهم من الفرق يعطي الفرق الأخرى مسوغات لوجودها وانسلاخها عن مفهوم السنة؛ وهذا هو الخطير؛ بل نقول لهم بقوة: من غير السنة لا إسلام؛ فلا مسوغ لانسلاخهم عن السنة، ويمكننا بسهولة دمغ مناهجهم التي خرجوا بها عن السنة بالبدعية، أو محاجتهم بمنهج الرسول ﷺ الذي هو السنة لنوجب عليهم إتباعه، **فنجعل السنة مرجعاً ومقياساً** تماماً كما أمر الرسول ﷺ حين أمر بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء.

5. **المسلمون أمة واحدة من دون الناس**، والأصل استخدام هذا **المصطلح الشرعي**"**المسلمين**" لجميع المسلمين ومن قِبَلِهم جميعاً؛ وعدم إدخال **مصطلحات عرفية خاصة** تقسمهم إلى فرق وشيع. فلا يصح اعتبار أهل السنة فرقة أو طائفة. فأهل السنة منهج وطريقة في العيش وليسوا بفرقة، ومن خرج عن هذا المنهج يصبح فرقة بخروجه عن الأصل كما

خرج الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم. فكل من يستخدم هذا المصطلح "أهل السنة والجماعة" من أجل إخراج فئة أو جماعة عن الملة أو تكفيرهم، يُعتبر آثماً شرعاً.

وكذلك من الخطأ أن ينظر المعتزلة أو الشيعة وأمثالهم إلى أنفسهم على أنهم ليسوا من أهل السنة، فإنهم بخروجهم من أهل السنة يخرجون عن مفاهيم الإسلام، وطريقته في العيش.

ومن الخطأ أن ينسب قوم إلى أنفسهم أنهم (الجماعة) إلا أن يكونوا جزءاً من جماعة المسلمين التي تنضوي تحت إمام يحكمهم بالشريعة يبايعونه على ذلك ويعطونه السلطان الذي أعطاهم الله إياه ليطبقوا أحكامه في الأرض.

وأخيراً:

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يبارك في الأخ إسماعيل الوحواح، والأخ أحمد القصص والأخ يوسف الساريسي، والأستاذ إبراهيم النبهاني، والأستاذ زياد أحمد سلامة على ما تفضلوا به من مراجعة الكتاب وإبداء الرأي فيه، وإجراء القلم بتصويبات لبعض أفكاره وأخطائه، بل ورفد مادته بمادة ضخمة قيمة، ونسأل الله تعالى أن يبارك فيمن قرأ الكتاب وأبدى رأيه وملاحظاته للكاتب.

والحمد لله رب العالمين

كتبه العبد الراجي رحمة الله تعالى

أبو مالك؛ ثائر سلامة

الأحد: 17 جمادى الأول 1438 للهجرة، الموافق 12 شباط / فبراير 2017 للميلاد.

المراجـــــــع

إبراهيم العسعس: السلف والسلفيون: رؤية من الداخل، دار البيارق، ط 2، 1419هـ= 1998م، ص35

ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته،

ابن دريد، جمهرة اللغة

ابن رشد، بداية المجتهد، ج 1

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،

ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، المجلد الثاني، ص 475 (تحقيق مشهور حسن آل سلمان).

ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح؛

ابن منظور: لسان العرب
ابن هشام: سيرة ابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1936م.
أبو البقاء الكفوي الكليات
أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، دار صادر، ط1، 2006.
أبو الفتح الشهرستاني: موسوعة الملل والنحل، مؤسسة ناصر للثقافة، ط1، 1981،
أبو جعفر الطحاوي (صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي: العقيدة الطحاوية،
أبو عبد المعز فركوس: الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس (الكلمة الشهرية رقم 83) وعنوانها:" شرف الانتساب إلى مذهب السلف وجوانب الافتراق مع ما يُسمى بالسلفية الجهادية والحزبية".
أبو مهدي، هانئ الأشهب: حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة.
إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت،
أحمد الخطيب، الوعي، العدد 116
أحمد الكاتب: الإمام المهدي "محمد بن الحسن العسكري": حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية، الدار العربية للعلوم، ط 5، 2007م.
أحمد الكاتب: الفكر السياسي الوهابي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 2008،
احمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، عمان، ط1، 1997م
أحمد الكاتب: في سبيل الشورى والوحدة والتجديد: حوارات أحمد مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر، الدار العربية للعلوم، ط 1، 2007م.
أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
أحمد أمين: فجر الإسلام، ط9، 1964، مكتبة النهضة المصرية،
أسامة الثويني. :مؤتمر لتعريف السنّة بالشيشان بحضور شيخ الأزهر يستثني السلفيين ويثير الغضب بالسعودية؛
أسعد وحيد قاسم: أزمة الخلافة والإمامة، موقع شبكة الشيعة العالمية، أزمة الخلافة والإمامة، إسلام وايب، مركز الفتوى هل وقع الخلاف في مسائل العقيدة، سؤال رقم 132935، تاريخ 2010/3/8
أمين نايف ذياب: محاضرة مخطوطة بعنوان "المعتزلة بين الأمس واليوم" وتاريخها 1992/6/7م.
أهل السنة والجماعة: "حقيقة الإسم والمسمى بين مطالب الوضوح وجاذبية الواقع المنحرف" شبكة ضياء
أهل السنة والجماعة، الدكتور أحمد زقاقي
بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: عبد القادر عبد الله العاني، مراجعة د. عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف الكويتية

بوابة الحركات الإسلامية، الطائفة الإسماعيلية (الشيعة الباطنية).
تاريخ ابن خلدون ص597
تتارستان، وسر العداء الروسي المتجدد
تقرير " RAND 2007 " خطير جدا .. تفاصيل خطيرة عنه يجب معرفتها! عَبْدالله بن محمد زُقَيْل، والتيار الوهابي تعبير يُطلق [في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق] على كل مسلم
تقي الدين النبهاني الشخصية الاسلامية: الجزء الثالث / أصول الفقه
الجرجاني: التعريفات.
جمال الدين القاسمي الدمشقي؛ تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1399هـ= 1979م،
حاكم المطيري: بحث في مجلة جامعة صنعاء للقانون والدراسات الإسلامية في العدد العاشر بعنوان "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" بين القبول والرد: دراسة حديثية إسنادية.
الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين.
حسن بن قاسم الحسني الريمي السلفي: التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية.
الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي؛ فرق الشيعة، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، ط 2، 1431هـ= 2010م.
الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، دار الكتب العلمية .بيروت .1988 م
الخليل بن أحمد، معجم العين.
دوايت م. روندلسن: عقيدة الشيعة، مكتبة الخانجي.
رائد بن صبري بن أبي علقة الكتب الستة، اعتنى به رائد بن صبري بن أبي علقة، مكتبة الرشيد، الطبعة الأولى 1426هـ= 2005م".
الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن.
رضوان السيد: السلفية: التحولات والمآلات، موجز محاضرة أُلقيت في الجنادرية ضمن ندوة عن «السلفية» يوم الأحد 2010/3/21
روح الله الخميني: الحكومة الإسلامية، منشورات الحركة الإسلامية في إيران.
الزمخشري، أساس البلاغة.
سبل السلام للصنعاني
سفر الحوالي: الفرق بين السلف وأهل السنة والجماعة .
سنن الترمذي
سنن الدارمي
سيد قطب: دراسات إسلامية، يونيه 1952 م

شرح العقيدة الطحاوية؛ حققها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 6، 1400هـ.
صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين.
معجم الطبراني
عبد الجبار بن أحمد (القاضي): شرح الأصول الخمسة، الأصل الثاني، العدل،
عبد الرحمن عبد الخالق: الأصول العلمية للدعوة السلفية، ص26
عبد العزيز الخياط: المدخل إلى الفقه الإسلامي، دار الفكر، ط 1، 1411هـ= 1991م،
عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد فتحي النادي، دار السلام، ط 1، ص 43
عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 2، 1431 هـ
عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشيد، القاهرة، 1413هـ= 1993.
عرفان عبد الحميد فتاح: نظرية ولاية الفقيه: دراسة وتحليل ونقد، دار عمار، عمان ط1، 1989م.
عز الدين هشام البدراني: عجالة المتفقه إلى معرفة أصول الفقه، دار الكتاب الثقافي.
علي بن سلطان محمد القاري (ملا علي القاري): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب الإمارة.
عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشيد؛ الرياض، ص 163.
عيد عباسي: الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى" بحث منشور في كتاب: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر؛ البحرين 1405هـ= 1985م
عيسى مال الله فرج: المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث،
الفاضل التوني: الوافية في أصول الفقه
فتحي شهاب الدين: موقع المهندس محمد النوايسة: حتى لا ننسى مخطط برنارد لويس لتفتيت العالم الإسلامي 2011/8/31
فهمي هويدي: إيران من الداخل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط3، 1988م.
فيض القدير
كشف اللثام بتخريج حديث غربة الإسلام: لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي؛ مكتبة الرشد، 1989 م.
محمد أبو رمان وحسن أبو هنية: الحل الإسلامي، مؤسسة فريدريتش أيبرت ومركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، 2012

محمد أبو رمان: الصراع على السلفية: قراءة في الأيديولوجيا والخلافات وخارطة الانتشار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ومركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، ط 1، 2016،

محمد أبو زهرة: الإمام الصادق: حياته وعصره .آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، 1425هـ= 2005م،

محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية؛ دار الفكر العربي.

محمد أحمد الخطيب: عقيدة الدروز"

محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي:(عقائدها وحكم الإسلام فيهامكتبة الأقصى/الأردن-الطبعة الأولى 1994.

محمد البنداري: التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، دار عمار، ط1، 1988م.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، قدَّم له الحجة السيد مرتضى العسكري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 3، 1397هـ 1977م.

محمد الخضري: تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ، دار الفكر، ط 8، 1967.

محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة بتحقيق أحمد شاكر.

محمد بن عبد الرحمن الخميس: شرح العقيدة الطحاوية الميسر، ط1، 1422هـ

محمد حسن عبد الله: الواضح في أصول الفقه، دار البيارق.

محمد عبد الكريم عتوم: النظرية السياسية المعاصرة: الإمامة الإثني عشرية: دراسة تحليلية نقدية، دار البشير 1988م.

محمد عمارة: الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، كتاب الهلال 1983

محمد عمارة: السلف والسلفية، مكتبة وهبة، سلسلة "الإصلاح بالإسلام"، ط 1، 1422هـ= 2011م،

محمد عمارة: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، نهضة مصر، ط3، 2005،

محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي،دار المستقبل العربي، 1983، ط 1.

محمد كامل حسين "طائفة الدروز: تاريخها وعقائدها"

محمد محمود صقر: "الحزب السياسي في اللغة والشرع والاصطلاح" وهو منشور على الإنترنت؛ المراجع

مرتضى العسكري: معالم المدرستين، المجلد الأول: بحوث المدرستين في الصحابة والإمامة، المجمع العلمي الإسلامي، ط 5، 1993.

المركز العربي للدراسات المستقبلية: سايكس .بيكو (2) يرسم خريطة الشرق الأوسط الجديد 2011/6/2 الكفاح العربي .المحرر السياسي.

مسند الإمام أحمد بن حنبل

مصطفى أحمد الزرقاء: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد (المدخل الفقهي العام)

مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي
مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية
المعجم الوسيط، ج1، ص 170
معجم مقاييس اللغة،
منتديات أنصار الدعوة السلفية: بحث "بعنوان:حكم الأحزاب في الاسلام.
منتصر الخطيب: مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، بحث بعنوان " طائفة "الدروز" (المنشأ والإعتقاد)
موسوعة ويكيبيديا.
موقع العربي .C.N.N مؤتمر بالكويت ردا على غروزني: السلف هم السنّة.. ولا للثورات 2016/11/13
موقع ملتقى أهل الحديث، خليل بن محمد: "حديث بدأ الإسلام غريباً: تخريج ودراسة" للشيخ سلمان العودة ومن كتابه "الغرباء الأولون" تاريخ 2006/3/2،
موقع "السكينة: الوهابية :الاسلام ونظام الحكم\The Enlightened Minds » الرد على شبهة الغلاة: لا بيعة إلا لخليفة واحد" الدكتور: أحمد الرضيمان، 2015/8/16
موقع الألوكة الشرعية: هل الموتى يسمعون كلام الأحياء؟ الشيخ ندا أبو أحمد 2014/3/27
موقع الجزيرة نت.
موقع الدرر السنية، مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة، علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق
موقع جامعة الإيمان: الشيخ عبد المجيد الزنداني، مقال بعنوان "إحياء السنن": بقلم خالد حسن محمد البعداني
موقع سبلة عُمان: الخرائط الكاملة لتقسيم الدول العربية والإسلامية (مخطط برنارد لويس).
وغيرها من المواقع.
موقع شبكة الشيعة العالمية،
موقع موقع الآفاق منتديات السلفية" التقريرات السنية لعلماء الدعوة السلفية فى دك معاقل الحزبية" جمع وترتيب وتعليق أبي عكرمة الخالدي السلفي جمادى الأولى 1429هـ،
موقع: اليوم السابع: بقلم صفاء كاشور 2016/2/28
موقع: ثورات وحقائق سرية: إعلام عربي بديل 2011/5/6
موقع: من هم الإباضية؛ دراسة عن الخوارج
ناصر بن عبد الكريم العقل: حراسة العقيدة، وزارة الأوقاف السعودية، 1429هـ= 2008م، ط1
نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر.
هاشم ناجي: الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد، دار الوراق، ط 2.
وهبه الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ج 1.

ياسر بن إبراهيم السلامة: الوهابية تحت المجهر، وزارة الأوقاف السعودية، 1430هـ
ياسين السليمان، مؤتمر الشيشان يثير غضب المسلمين، الخليج اون لاين، 2016/9/2
يوسف الساريسي: مراجعة الأستاذ يوسف الساريسي لمخطوطة هذا البحث.

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم............1
مصطلح أهل السنة والجماعة............1
في الميزان............1
مصطلح أهل السنة والجماعة............2
مقدمة............5
الدافع للكتابة في هذا الموضوع............5
مفهوم أهل السنة والجماعة لغة واصطلاحاً وتاريخاً............11
مفهوم كلمة "أهل" لغة:............11
مفهوم (السنة) في اللغة:............11
السنة في اصطلاح المحدثين والفقهاء والأصوليين:............12
من معاني السنة الإصطلاحية الأخرى:............12
(1) السُّنَّةُ هيَ الحَضَارَةُ الإسلاميَّةُ وطريقَةُ الإسْلامِ فِيْ العَيْشِ:............12
(ب) السنة تقابل البدعة:............14
(ج) إحياء السنة يكون بإحيائها والعمل بها وتطبيقها عملياً:............15
مفهوم كلمة"الجماعة":............16
مصطلح (الجماعة) له مفهوم شرعي محدد:............17
المقصود بمفارقة الجماعة:............19
"ال" في كلمة "الجماعة" هي للعهد لا للجنس:............21
مواصفات الجماعة التي أمر الرسول ﷺ بها:............22
الحكم الشرعي في وجود الجماعة والتزامها؟............25
استحداث مصطلح "أهل السنة والجماعة":............26
لم يُعهد عن الرسول ﷺ وصف المسلمين بأهل السنة............29
ابن سيرين وعمر بن عبد العزيز أول من استخدم هذا المصطلح، ولكن كيف؟............31
وصف أهل الحديث بأنهم أهل السنة والجماعة كان بصفته "منهجاً" لا "فرقة"............31

أهل السنة بين مدرستي أهل الرأي وأهل الحديث: 32
حديث افتراق الأمة 33
تحليل حديث افتراق الأمة على فرض صحة بعض رواياته: 35
بداية ظهور الفرق والجماعات في الإسلام وأشهر هذه الفرق 37
تحديد معنى الفرقة، وكيف تكون (فِرقة إسلامية) تتميز عن غيرها؟: 37
أهم الفرق الإسلامية 39
الخوارج 39
المرجئة: 42
الشيعة: 43
أصول الشيعة الإمامية ومعتقداتها 43
الزيدية: 48
الإسماعيلية: 48
القدرية والجبرية والجهمية 49
المعتزلة 51
الأشاعرة 53
الماتوريدية 55
أهم الفرق والمذاهب والطوائف الباطنية (الخارجة على الإسلام) 57
الإسماعيلية: 57
الدروز 60
أهل السنة والجماعة: 62
نشأة مصطلح "أهل السنة" وتاريخ إطلاقه: 63
الأشعرية والماتوريدية: امتداد لمدرسة أهل السنة والجماعة: 65
ربط السلفية المعاصرة بالسلفيات القديمة: 65
أهم ما يجمع هذه (الفرقة) من أحكام وعقائد 66
الوهابية والسلفية: 70
الانتشار 71

تسميات:.. 71
بداية ظهور الوهابية:.. 73
التماس القوة لمساندة الفكرة:.. 73
الخطوط العريضة للدعوة الوهابية والسلفية:... 75
نعم هي فرقة:... 79
خطورة حصر المصطلح بفرقة واحدة.. 80
الفرق والمذاهب: اختلاف في الفقه أم في العقائد؟ هل الخلاف بين الفرق محمود أم مذموم؟... 82
الخلافات الفقهية:... 82
الخلافات العقدية:... 85
حرمة الإختلاف في أصول الدين.. 86
الأصل في نشوء الفرق التمايز عن الأصل.. 87
القضية ليست بهذه السهولة.. 88
القواعد الذهبية للاعتقاد.. 90
الأفكار الأساسية في الإعتقاد:.. 92
الأفكار الظنية المتعلقة بالإعتقاد:... 93
هل اختلف الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان في مسائل عقدية؟............................. 94
الخروج من الإسلام إلى الكفر ! ضوابط الحكم على أبحاث الفرق:................................ 96
وجوب اعتماد السنة والأخذ بها، وتحريم نبذها أو تركها:... 98
استثمار المصطلح سياسياً في العصر الحديث:.. 100
النتيجة والخلاصة:.. 102
المراجــــــع.. 104